المغازي الأولى ومؤلفوها

تأليف

الأستاذ المستشرق يوسف هوروفتس

ترجمة

الدكتور حسين نصار

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الثانية
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٧٣١٠
الترقيم الدولى
I.S.B.N 977 - 5046 - 82 - 3

الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
: ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ - ٠١١/٣٣٨٢٤٢

محتويات الكتاب

تصدير

هذه فصول مُمْتِعة ، تَصِف نشأة التأليف فى « السِّيرة النبوية » عند المسلمين ، منذ كانت الكتابة فيها عند أبان بن عثمان ، أَقدمِ مُدَوِّنى السِّيرة ، لا تجرى على نَهْج معروف ، ولا سَنَن مرسوم ، إلى أنَ صارت عند ابن إسحاق والواقدىّ وابن سعد ، فنا واضح المعالم ، مستقلا عن سائر الفنون التاريخية التى نشأت معه ، له رُوّاده ونقاده ، وله كتبه وأسانيده ، وله مناهجه وخصائصه .

وقد عرّفنا المترجم فى مقدمته بالأستاذ العالم الألمانى « يوسف هوروفتس » الذى أنشأ هذه الفصول ، ونشرها فى مجلة « الثقافة الإسلامية » التى تصدر فى حيدر آباد باللغة الإنجليزية ، فى أعداد سنتى ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ م .

نشأتِ السيرة ، أول مانشأت ، أحاديثَ فى مجالس الخاصة ، كانت تُدار حول مغازى رسول الله - ﷺ - ، فيسأل بعض الولاة أو الأعيان فى الأمصار الكبرى الإسلامية كالمدينة ودمشق ، عالما ممن اشتهر بالحفظ والرواية : كيف كانت غَزاة بدر ؟ أو من الذين شهدوا هذه الغزاة ؟ أو ماعددهم ؟ فيحدث القومَ بما يعلم من ذلك ، مُسْنِدًا الحديث إلى من أفاده إياه من الصحابة . وكانت تلك الأحاديث أحيانا تفسيرا لبعض الآيات التى تضمنت شيئا من تاريخ الوقائع وغزوات

النبيّ ، مثل يوم بدر ويوم أُحُد ويوم حُنَين . وكان بعض هؤلاء الرُّواة يزيد على بعض فى جملة الأخبار وتفصيلها ، أو فى دقة الإسناد ، على حسب المصادر التى أمدَّته .

ثم تقدمت السِّيرة خطوة ، إذ دَوَّن بعض هؤلاء الحُفَّاظ ، وكلهم من التابعين ، ماورثوه روايةً عن أسلافهم من الصحابة ؛ وكان البادئ بهذا ، فيما يخبرنا به منشئ هذه الفصول ، أبان بن الخليفة عثمان ، ثم عُرْوة بن الزبير ، وهما من أبناء أشراف العرب وكبرائهم ، فمكنتهما قرابتهما من رسول الله ، أن يجمعا من الأخبار والأسانيد مالم يجمع غيرهما ؛ ولذلك يمكن عَدُّهما مؤسِّسَىْ تاريخ السيرة فى الإسلام ؛ ثم تواتر الكاتبون فيه بعدهما : من أمثال شرحبيل بن سعد ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، ثم الزهرىّ وتلاميذه الذين من أعظمهم شأنا محمد بن إسحاق ، صاحب السيرة المشهورة الباقية .

ولم يكن للتأليف فى السيرة عند المؤلفين الذين سبقوا ابن إسحاق منهج كامل ، وإنما كان بعضهم يُسأل عن غَزاة معينة ، أو خبر خاص ، فيكتب فيه رسالة لمن سأله ، وكان بعضهم يقتصر على تدوين أخبار المغازى ، وتوسَّع بعضهم بذكر المَبْعث والوحى ، وأضاف بعضهم مالاقى رسول الله – ﷺ – فى مكة ، وبعضهم ذكر تاريخ الهجرة وكيف كانت ، واتجه بعضهم إلى ذكر مايقال عن حياة النبى قبل المبعث ، وذهب بعضهم إلى ذكر مبدإ الرسالات قبل النبى ، وقصص الأنبياء السابقين .

وكان بعض هؤلاء المؤرخين يلتزم إسناد الأخبار إلى أصحابها الذين تضاف إليهم ، وبعضهم يترك الإسناد أحيانا ؛ فلما جاء ابن إسحاق ،

وكان من المحدثين ، وضع المنهج الكامل للسيرة في كتابه الخالد ، الذى يُعتبر رأس التآليف فى هذا النوع من التاريخ ، وقفَّى على آثاره الواقدىّ وابن سعد فيما كتبا من سيرة النبى – ﷺ – .

وقد عُنِى المؤلف فى هذا البحث بتلك المُدَوَّنات التى سبقت ابن إسحاق ، فتعرف ماعند أصحابها ، وجمع كل ماوجده من الأخبار عنهم فى مختلف كتب التاريخ والطبقات والحديث ، وما بقى لهم من مُدَوَّنات مستقلة ، أو مبثوثة فى تضاعيف الكتب ، ثم نظم من ذلك كله هذه التراجم الخِصبة بما أودعها من معلومات ، الدقيقة بما لها من منهج علمى بارع ، وتناول الآثار الباقية من مُدَوَّنات أصحاب السير : وصفا وتحليلا ونقدا ، واستخرج من كل أولئك ، الخصائصَ التى تميز بعض المؤلفين عن بعض ، ثم ختمها بما كتب عن ابن إسحاق الذى اكتملت عنده تلك الخصائص ، والذى يُعَدّ بحق « أمير المؤمنين » فى تاريخ السيرة النبوية ، وبما كتبه عن الواقدىّ وابن سعد ، اللذين تُعَدُّ سيرتاهما مشابهتين لسيرة ابن إسحاق .

* * *

هذا الجهد المشكور الذى قام به المؤلف فى عرض تاريخ السيرة عرضا علميا مُوَفَّقًا ، من أَمَسِّ الدراسات وألزمها لمن يهتمون بتاريخ الثقافة الإسلامية عامة فى الشرق ، فعلى هذا الأساس يمكننا أن نقيس تاريخ التأليف فى الحديث والتفسير والاشتراع والعقائد ، وفى التاريخ والنحو واللغة ... إلخ . فننهج هذا المنهج الموفق فى تاريخ كثير من العلوم ، ونستخرج بناء عليه نتائج ذات شأن وخطر لا تدور بخلدنا الآن .

ومن أجل هذا المقصد وأشباهه من المقاصد الجليلة ، اتجهت عناية الأستاذ حسين نصار إلى ترجمة هذه الفصول القيمة ، التى أنفق فيها من جهده وعلمه ووقته ، مالا يُعَدّ ضائعا ، وإنما يُعد غنما كبيرا ، بما أضافه إلى الثقافة العربية من ثمار هذه الدراسة القيمة .

وقد عرَض علىّ المترجم هذه الترجمة قبل نشرها ، فأصلحت منها مايحتاج إلى الإصلاح ، مما لا يمسّ جوهر المعنى الذى أراده المؤلف .

وأنا أرجو أن ينتفع طلاب الثقافة الإسلامية والتاريخية والأدبية بهذا البحث الناضج ، وأن يتأملوا طويلا دقة منهجه ، وحسن عرضه ، ونزاهة مؤلفه ، وأمانة مترجمه .

مصطفى السقا

القاهرة فى يوم الاثنين { ٢٤ من صفر سنة ١٣٦٩
١٤ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ }

مقدّمة

كنت أجمع المراجع التى أعتمد عليها فى رسالتى التى قدمتها إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول (القاهرة) ، لأحصل على درجة الماجستير فى « نشأة الكتابة فى الأدب العربى » ، فوجدت الكتب التى تتعرض لنشأة التاريخ عند العرب ، تستعير كثيرا من كتاب يسمى « المغازى الأولى ومؤلفوها » ، من تأليف الأستاذ الألمانى يوسف هوروفتس Josef Horovitz . فبحثت عنه ، فوجدته مقالات فى مجلة « الثقافة الإسلامية Islamic Culture » التى تصدر فى حيدر آباد بالهند باللغة الإنجليزية ، فى أعداد عامى ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، فعَثَرت فيه على تحفة رائعة فى نشأة كتب المغازى والسِّيَر عند المسلمين وأطوارها الأولى .

اسم هذا الكتاب :

Early Biographies of the prophet and thier Authors

وقد ترجمته باسم « المغازى الأولى ومؤلفوها » ، وآثرت كلمة « المغازى » على كلمة « السِّيَر » مقتديا فى ذلك بالمؤلف نفسه ، فهو الذى اختار هذا اللفظ ، وكتبه بالحروف اللاتينية فى أصله الأوربى [١] . ويجدر بى أن أشير إلى أن لفظ « المغازى » يعنى : « الغزوات » ، وهى الحروب التى اشترك فيها الرسول بالقتال . ولكن هذا الاسم تدرّج فى الزمن ، فاتسع معناه ، وشمل تاريخ حياة النبىّ جميعها . وأرجح أنه فى

---

(١) ص ١٧ من هذا الكتاب .

توسعه الأول شَمَلَ حياة النبى فى المدينة وحدها ، لأنها مُدّة الجهاد الحربى ، الذى ساير قيام الدولة الإسلامية . فهذه المدة من حياة الرسول مزدحمة بهذه الحملات على قريش ، والقبائل العربية ، واليهود ، ثم من سكن أطراف الشام ، وخضع للرومان من العرب . ولذلك لايبعد المرء كثيرا إذا سماها مُدّة المغازى . ثم اتسع اللفظ حتى شمل حياة النبى بأكملها ، فإنه إذا كانت المدة المدنية مُدَّة الجهاد الحربى ، فإن المدة المكية كانت مدة الجهاد السلمى فى سبيل نشر الدعوة سرًّا ثم جهرا . وعلى هذه الصورة اتسع هذا اللفظ ، فصار يعنى « سيرة النبى – ﷺ – » كلها ، وبهذا المعنى يستعمله مؤلف الكتاب .

ويعرض الكتاب دراسة فريدة لم يُسبق إليها فيما أعلم ، فهو يتناول طائفة من المؤرخين المبكّرين الذين وصفوا حياة الرسول وكتبوا فيها المؤلفات . فيذكر ترجمة وافية لهم ، مبينا مراكزهم الاجتماعية ، وأعمالهم الرسمية ، ويعنى بنشأتهم العلمية ، وكيف حصلوا على معارفهم ، وآرائهم العلمية . ثم يتناول ماألفوا من كتب ، ويقف عندها طويلا ، ملخصا محتوياتها ، واصفا قيمتها الفنية ، وأخيرا يصف ماكتبوا فى المغازى بالمعنى الخاص أو العام ، ومقدار ارتباطها بحياة النبى فى مكة وفى المدينة ، أو ارتباطها بالحياة الإسلامية عامة .

وها هو ذا يقول مجملا منهجه [١] : « وسنتكلم فيما يلى عن هؤلاء العلماء بالمغازى خاصة من التابعين ، وعن مدوَّناتهم . ولكننا لن نقف عند هذا الجانب وحده من نشاطهم ، بل نجمع كذلك كل

---

(١) ص ١٨ .

الأخبار المهمة التى نقف عليها مضافة إليهم . وسنتناول فى فصل آخر أو فصلين العلماء بالمغازى فى الجيل التالى ، جيل تابعى التابعين . وأخيرا نتناول أقدم السِّيَر الشاملة لحياة النبى ، أعنى سير ابن إسحاق ومعاصريه ، وكذلك الواقدىّ وابن سعد » .

فيترجم أبان بن عثمان ، وعُرْوة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد ، ووهب بن منبه فى الفصل الأول ؛ ثم عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والزهرى فى الفصل الثانى ؛ ثم موسى بن عقبة ، ومعمر بن راشد ، ومحمد بن إسحاق ، فى الفصل الثالث ؛ وأخيرا أبا معشر السِّندى ، والواقدى ، وابن سعد ، فى الفصل الأخير .

فهو إذن كتاب يؤرخ لمن كتب فى المغازى ، ولا يقصد الحركة التاريخية عامة . ولذلك لا يترجم لمن كتب فى تاريخ اليمن أو القصص العربية الشعبية ، من أمثال عَبيد بن شَرِية ؛ ولا لمن ألف فى الأنساب والأيام ، من أمثال الكلبى وأبى عبيدة ؛ ولا لمن ألف فى تاريخ الخلافة والخلفاء وحدهم ، من أمثال عَوانة بن الحكم وأبى مِخْنَف ، ولا لمن ألف فى الأدب والأدباء ، من أمثال حَمّاد الراوية . وكذلك لا يتعرض لمن اكتفى بالرواية من المؤرخين ، ولو رووا السير والمغازى ، وإنما يوجه عنايته إلى من كتب منهم .

وقد شمل كتابه القرنين الأولين من الإسلام ، فكان آخر من كتب عنهم ابن سعد . وعُنى عناية خاصة بعروة بن الزُّبير ، ووهب بن منبه ، والزُّهرى ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدىّ ، وخاصة الأخيرين ، فوقف عندهم وقفة طويلة ، بيَّن فيها ترجمتهم الكاملة ، وفحص عن كتاباتهم فحصا دقيقا ، وناقش أقوال العلماء ، والمناهج المختلفة التى اصطنعوها

فى مغازيهم وسيرهم . بل بلغ اهتمامه بابن إسحاق درجة جعلته يختصر رسالة جدّ عظيمة للأستاذ « فيك Fuck » ، ويدخل زُبدتها فى كتابه ؛ بعد أن حلّاها ببعض الحواشى والتعليقات [١] . وفعلا وصل إلى القمة عند محمد بن إسحاق فى الترجمة ، والتمحيص ، والمناقشة ، والابتكار ، وخرج علينا بتقسيم جديد لكتابه فى المغازى [٢] . ونحن – وإن لم نستطع موافقة المؤلف فى جزئيات هذا التقسيم ، نعجب ولاشك ، بالجهد الرائع الذى بذله لإظهار هذه الترجمة التى لا نظير لها . ويمكننا أن نطلق هذا القول بدون مغالاة على ترجمته للواقدىّ أيضا . أما بقية التراجم ، فهى وإن كانت مختصرة ، إلا أنها حاوية ، لا تهمل شيئا مُهِمّا ينير لنا الطريق لنتصور هؤلاء العلماء بالمغازى وكتبهم .

وكانت مادة المؤلف فى تصور كتب هؤلاء العلماء ، النُّتَف والمقتطفات الباقية فى الكتب التاريخية التى أُخذت عنهم ؛ فجمع هذه النصوص ورتبها ، وحاول أن يخرج منها بصورة واضحة عن كل كتاب . ومن الواضح منذ النظرة الأولى فى كتابه ، أنه بذل جهدا مشكورا ليصل إلى ماوصل إليه من معلومات قيمة ومبتكرة فى غالب الأحيان . ولعلنا نستطيع أن نقتفى أثره ، ونخرج سلسلة من الأبحاث فى نشأة الفروع الأخرى من الأدب والعلم عند العرب ، مستعينين بالأسانيد التى كان يواظب عليها القُدامى من المؤلفين فى أكثر الأحيان . فإن هذه الدراسة تؤدى بنا إلى كثير من النتائج العلمية الدقيقة .

---

(١) ص ٩٢ .

(٢) ص ١٠٠ .

وصفوة القول فى هذا الكتاب : إنه أول دراسة من نوعها تذاع فى الشرق العربى ، تهدينا إلى المجد الرفيع الذى بلغه أجدادنا فى قديم زمانهم ؛ وإلى المناهج العلمية الدقيقة التى كانوا يصطنعونها ويحافظون عليها ، وإلى الحياد وحب الحق ، مما التزموه فى دراساتهم العلمية ، حتى تعرضوا للمخاطر ، ولظلم من ظلم .

ومن الطبيعى ألّا يبرأ الكتاب من بعض وجوه النقد ، التى يسببها له المنهج الذى اختاره المؤلف ، فهو حين يتتبع مقتطفات التواريخ من هذه الكتب لا يميز بين الروايات والمُدوَّنات ، بل يتغاضى أحيانا عن الروايات ، ويرجح تدوينها (١) ، وبهذا قد يدخل فى تصورنا للمغازى الأصلية معلومات ربما لم تكن فيها .

ويشتط المؤلف أحيانا نادرة فى بعض الآراء ، فيطلقها إطلاقا دون أن يتروّى فيها . وقد تعقبته فى هذه المواضع ، وعلقت على آرائه ، وبينت آراء غيره من العلماء ، ليستخلص القارئ الرأى الصحيح ، أو يختار الرأى الذى يرتضيه . وقد أشرت إلى هذه الحواشى التى من عندى بالحرف الأول من اسمى « ح » لأميزها عن حواشى المؤلف . وعلى ذكر هذه الحواشى أشير إلى أنى قاسيت منها أشد المتاعب لأصل إلى مصادرها ، بسبب اختلاف الطبعات ، والأخطاء المطبعية التى وقعت فى الأرقام .

ومن الأمور التى شَطَّ فيها قلم المؤلف نسبته التأليف فى المغازى لشرحبيل بن سعد ، وعبد الله بن أبى بكر ، فالخبر الذى رواه ابن حجر

---

(١) ص ٣٦ .

يدل على أن موسى بن عقبة هو الكاتب ، حتى إنه ليقول : « وقَيَّد من شهد بدرا وأحدا ، ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ، وكتب ذلك » . فكلمتا : « قيد ، وكتب » تنصان على أن موسى فعل ذلك مقابلة لرواية شرحبيل ، وإثباتا لوجه الصواب على مُدَوَّنة لا يستطاع تغييرها [١] . وكذلك عبد الله بن أبى بكر لا نستطيع أن نثبت له كتابا فى المغازى ، لمجرد أن ابن أخيه عبد الملك بن محمد ألف فيها [٢] .

ولم يتنبه المؤلف إلى بعض الكتب مثل « كتاب مشاهد النبى » الذى ينسبه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » للزهرىّ [٣] . ولم يتنبه لسليمان بن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ وألف كتابا يسمى : « السيرة الصحيحة » وقد وجده الأستاذ « فون كريمر Von Kremer » فى نهاية مغازى الواقدى ، فحققهما معا ونشرهما فى الهند .

ويُؤخذ على المؤلف قلة الاستشهاد ، بل عدمه تقريبا . وقد استدركت هذا النقص بالضمائم التى جمعتها فى آخر الكتاب ، إذ أتيت لكل مؤرخ مذكور بشىء من مقتطفاته المحفوظة فى الكتب المتأخرة ، التى رجع إليها المؤلف .

ومهما يكن من شىء فإن الكتاب تحفة رائعة أُقدِّمها لإخوانى القراء فى العالم العربىّ ، شاكرا مؤلفها جزيل الشكر ، راجيا أن تفتح أمامنا

(١) ص ٤٢ .
(٢) ص ٥٧ .
(٣) ص ١٠٤ .

آفاقا جديدة للبحث فى مواطن الدراسة العربية ، وفقنا الله جميعا ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

حسين نصار

القاهرة فى يوم الاثنين { ٢٤ من صفر سنة ١٣٦٩ هـ
١٤ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ م

شكر

وإنى مدين بجزيل الشكر لأستاذى الجليل « مصطفى السقا » الذى أَوْلَى هذا الكتاب كثيرا من عنايته ، فى تقويم ترجمته العربية ، وتصحيح تجاربه المطبعية ، ثم فى إذاعته ونشره .

الفصل الأول

ظهور المغازى

فى الأدب العربى ميادين ثلاثة ، ينبغى أن تعدَّ مصادر لأقوال النبى وأفعاله ، وهى كتب الحديث ، والسيرة ، والتفسير . والعنصر الرئيسىّ فى كل واحد من هذه الميادين ، هو الرواية المسندة ، التى تَرِد فى كل منها بصورة واحدة ، صورة متن الحديث يتقدمه الإسناد . ولكن الكتب المنتمية للميادين الثلاثة يختلف بعضها عن بعض ، فى نظام عرض المجموعة الكبيرة من الروايات المسندة التى تضمها ؛ فمجموعات الحديث ترتبها على حسب الموضوعات ، (كما فى المصنفات التى منها الكتب الستة) ؛ أو على حسب أسماء الصحابة الذين تُرفع لهم الأحاديث ، (كما فى كتب المسانيد ، كمسند أحمد بن حنبل) أما كتب السيرة فتورد الروايات مرتبة على السنين ، بحسب وقوع الحوادث التى تشير إليها الأحاديث ؛ وأما كتب التفسير بالمأثور ، فتوردها شرحا للآيات القرآنية التى تتصل بموضوعها .

ومن الطبيعى ألا تحوى الكتب الممثلة لكل من الميادين الثلاثة مادة متحدة فى كل منها ؛ وإنما تختلف كثيرا فى اختياراتها من تلك المادة الواسعة ؛ باختلاف أشخاص مؤلفيها وميولهم الخاصة من ناحية ، ومقياس النقد الذى يصطنعونه للتحقق من صحة الروايات من ناحية أخرى . ومهما يكن بينها من فرق أو خلاف فإن الكتب التى تعد أكمل المجموعات فى مادة الحديث ، فى أى ميدان من الميادين الثلاثة ، مثل « كتاب المغازى » للواقدى من جهة ، و « مسند » أحمد بن حنبل من جهة أخرى ، يشتمل معظمها على أحاديث مشتركة بينها ، فقلما

نجد حديثا عند الواقدىّ ولا نجده فى مسند أحمد بن حنبل . وهناك محاولة جديرة بالذكر لجعل جميع المادة المجموعة فى كتب الحديث والسيرة فى متناول الأيدى بصورة موجزة فى الكتاب الرائع المسمى « موجز فى Handbook of Early Muhammadan Tradition الأحاديث النبوية الأولى » الذى ظهر أخيرا بفضل الأستاذ فنسنك Prof. Wensinck الذى خدمنا خدمة عظيمة بنشره فى ليدن . وإذا أمكن فى المستقبل جمع كل الأحاديث المذكورة فى تفسير الطبرىّ ، فإنه يصبح من السهل بحث المسائل المهمة فى جميع الميادين الثلاثة ، على أساس ماأخذته من مادة الحديث .

وقد شرع الناس فى الجيل التالى للصحابة ؛ جيل التابعين ، يجمعون روايات أقوال النبى وأفعاله التى كانت شائعة فى عصرهم ؛ وإذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة فى الصحائف والكتب مشكوكا فى صحتها وقيمتها [1] ، فإنه لا يوجد شك فى أن مثل هذه الكتب كانت نادرة فى جيل التابعين ، الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة . ووجد بين التابعين أناس يعتبرون علماء بالمغازى ، وهى الحروب ، وينبغى أن نقصر معنى هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبى والصحابة الحربية ، وإن كان يُطلق فى الغالب على سيرة النبى جميعها . وسنتكلم فيما يلى عن هؤلاء العلماء بالمغازى خاصة من التابعين ، وعن مدوَّناتهم . ولكننا لن نقف عند هذا الجانب وحده من نشاطهم ، بل نجمع كذلك كل الأخبار المهمة التى نقف عليها مضافة

---

(١) جمع جولد تسيهر Goldziher قدرا من هذه الأحاديث ، انظر : دراسات إسلامية ، المجلد الثانى ، الصفحة ٩ ، ومجلة جماعة المستشرقين الألمان ، المجلد ٧١ ، الصفحة ٤٣٨ .

إليهم . وسنتناول فى فصل آخر أو فصلين العلماء بالمغازى فى الجيل التالى ، جيل تابعى التابعين . وأخيرا نتناول أقدم السِّيَر الشاملة لحياة النبى ، أعنى سير ابن إسحاق ومعاصريه ، وكذلك الواقدى وابن سَعْد .

أبان بن عثمان

وينبغى أن نبدأ بذكر أبان بن الخليفة عثمان وأُمّ عمرو بنتِ جُندب [١] ، فهو أول من اشتهر بمعرفة المغازى معرفة دقيقة ، وهو ممن ولد قبل سنة ٢٠ للهجرة لابعدها ، لأنه كان فى عام ٣٦ هـ قد بلغ من العمر مامكّنه من الاشتراك فى خروج [٢] عائشة وطلحة والزبير للطلب بثأر عثمان (توفى سنة ٣٥ هـ) ؛ وفى أثناء الحملة أُرسل لعائشة يسألها عن رأيها فى مصير بعض الأسْرَى [٣] . ويظهر أنه لم يسند إليه أى عمل فى الأربعين سنة التالية ، إلى أن عينه الخليفة عبد الملك واليا على المدينة عام ٧٥ هـ [٤] . على أن تولية أبان على المدينة لم تكن من الخليفة فى بادئ الأمر ، وإنما سببها أن سلفه عليها كان فيه حمق ، فخرج إلى دمشق وافدا على الخليفة عبد الملك بغير إذن منه قبل خروجه ، واستخلف أبانا على المدينة ، فغضب عبد الملك عليه ، وصرفه وأقر أبانا [٥] . واستمر أبان فى ولايته على المدينة سبع سنوات ، حتى عام ٨٣ هـ ، فعزله عبد الملك [٦] . وفى أثناء ولايته عليها كان الخليفة

(١) الطبرى ١ : ٣٠٥٦ .

(٢) نفس المرجع ١ : ٣١٠٤ .

(٣) نفس المرجع ١ : ٣١٢٦ .

(٤) نفس المرجع ٢ : ٨٧٣ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١١٢ .

(٦) الطبرى ٢ : ١١٢٧ .

يعهد إليه كل عام بإمارة الحج [١] . ولما لم يأت إليه أمر الخليفة فى عام ٨١ هـ بسبب مشاغل الحرب ، تطلع والى مكة للتشرف بإمارة الحج ، فتمسك أبان بأولويته بالإمارة ، لنسبه وقرابته [٢] .

وقد توفى فى ولايته بعض كبراء المدينة ، من أمثال جابر بن عبد الله الصحابى ، ومحمد ابن الحنفية ، وعبد الله بن جعفر وهو ابن أخى علىّ ، فكان أبان هو الذى يصلى عليهم [٣] . ولا نعرف عنه بعد ذلك من الأخبار الرسمية إلا أنه عَيَّنَ قاضيا جديدا [٤] ، وعاقب مُزَيِّفى العُمْلة [٥] ، وزاد فى صاع أهل المدينة [٦] . وقد شُلَّ قبل وفاته بعام .

وتختلف الأقوال فى تاريخ وفاته فيرى البخارى فى « التاريخ » أنه توفى فى عهد الوليد (٨٦ – ٩٦ هـ) ، ويرى ابن سعد أن وفاته فى عهد يزيد الثانى (١٠١ – ١٠٥ هـ) ، بل يذهب بعضهم أنها فى نهاية عهد يزيد الثانى (١٠٥ هـ) .

ويُذكر أبانٌ بين فقهاء المدينة [٧] ، فيروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه [٨] ، وتنفى روايات أخرى سماعه الأحاديث عن أبيه [٩] .

ولأبان شهرة حسنة بين المحدِّثين ، فيذكرون أن أبا الزِّناد والزُّهْرِىَّ أخذا عنه الحديث ، وكذلك ابنه عبد الرحمن . ومع أنه يتردد اسمه كثيرا فى أسانيد الأحاديث ، فإنه لا يوجد فى كتب السيرة ؛ فلا نجد

---

(١) الطبرى ٢ : ٩٤٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٦ ، ١٠٨٥ .
(٢) الأغانى ٣ : ١٠٧ . (٣) الطبرى ٣ : ٢٣٣٩ ، ابن سعد ٥ : ١١٣ .
(٤) ابن سعد ٥ : ١١٣ . (٥) البلاذرى : الفتوح ٤٧٠ .
(٦) الواقدى ، ترجمة ولهوزن Welhausen ٢٨٨ .
(٧) النووى ١٢٦ ؛ ابن حجر : تهذيب ١ : ٩٧ .
(٨) ابن حجر : نفس المرجع . (٩) نفس المرجع .

ذكره أبدا عند ابن إسحاق أو الواقدى أو ابن سعد [١] (فى الجزء المخصص لسيرة النبى من كتابه) . نعم إن ابن سعد [٢] يسند خبرا عن أَسْر العباس وبعض الهاشميين الآخرين فى بدر إلى أبان بن عثمان ، ولكن الإِسناد (أبان عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد المتوفى عام ١٤٨ هـ) يبين أنه ليس المراد أبان ابن الخليفة ، وإنما المقصود المؤلف الشيعىّ ، أبان بن عثمان البَجَلِىّ [٣] .

وقد ألف أبانٌ هذا كتابا عالج فيه « المَبْدَأَ وَالمَبْعَثَ والمغازى » ولعله هو الذى وصفه ياقوت فى « مُعْجَم البُلدان » « بصاحب المغازى » . ولكن أبانا الذى نعنيه وهو ابن الخليفة ، عُنِىَ كذلك بالمغازى عناية خاصة .

وذكر ابن سعد [٤] المُغِيرةَ بن عبد الرحمن فقال : « كان ثقة قليل الحديث إلا مغازى رسول الله – ﷺ – ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيرا ماتُقرأ عليه ، ويأمرنا بتعليمها » [٥] . وكان المغيرة هذا فى جيش مَسْلَمَة الذى توجه عام ٩٦ هـ إلى آسيا الصغرى ووصلته أوامر عمرَ الثانى [ابن عبد العزيز] بالرجوع فى عام ٩٩ هـ [٧] ؛ ولا يمكن أن يأخذ المُغيرة المغازىَ إلا من أبان بن عثمان الخليفة ، لا من أبان بن

---

(١) يذكر ابن سعد أبانا خارج السيرة عند ذكره الكلمات الأخيرة من عمر ، التى سمعها (أبان) من والده ؛ ويذكره ابن قتيبة (كتاب الشعر والشعراء) على أنه راوى الخبر القائل بأن البردة التى أعطاها النبى كعب بن زهير اشتراها معاوية ، وكان يلبسها الحكام فى المواسم .

(٢) ٤ : ٢٩ ؛ انظر أيضا الطبرى ١ : ١٣٤١ .

(٣) فيك : Fuck (محمد بن إسحاق) ٨ : الملاحظة ٢٧ .

(٤) ٥ : ١٥٦ .

(٥) ابن سعد : نفس المرجع ١٨٥ .

(٦) الطبرى ٢ : ١٣٠٥ .

(٧) نفس المرجع ١٣٤٦ .

عثمان البَجَلى ، الذى عاش بعد ذلك بجيلين أو ثلاثة . وليست هذه المغازى ، التى رواها المغيرة عن أبان ، كتابا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما هى مجموعة من الأخبار المتعلقة بسيرة النبى ؛ ويظهر أنه لم يبق لنا شئ من تلك المجموعة التى لعلها كانت تماثل الصحائف والكتب المذكورة آنفا .

وعلى كل حال يجب ذكر أبانٍ على أنه أول من دوَّن مجموعة خاصة تتناول المغازى . حقا إن المدينة لم تعد بعد مقتل عثمان عاصمة الخلافة العربية ، ولكنها ظلت مدة طويلة مقر عِلْيَة القوم من العرب ، من أبناء المهاجرين المكيين ، والأنصار المدنيين ، وأنصار بنى أمية الذين قبضوا على أزمة الحكم فى دمشق منذ ذلك الوقت .

ولم تقصر عناية أهل المدينة على العلوم الدينية وحدها ، بل عنوا أعظم عناية بالموسيقى والشعر .

ومن الخطأ أن يُظن أنه لا توجد صِلات بين العُلَماء والشعراء ، وأن علماء الدين كانوا جميعا مُعادين للشعر . بل وجد فى المدينة نفسها أعلام من العلماء الدينيين قد برَّزوا فى قول الشعر ، وأشهر مثل لذلك تتحقق فيه هذه الصلة ، عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عُتبة ، حفيد عُتْبة بن مَسْعود ، وهو ممن حارب مع النبى فى أُحد .

وقد خصص أبو الفرج الأصفهانى فى « كتاب الأغانى » فصلا لعُبيدِ الله هذا ، وأورد طائفة من شعره [١] ، وفعل مثل ذلك ابن سعد أيضا فى « طبقاته » [٢] ؛ وهو معدود من فقهاء المدينة السبعة ، وحينما

---

(١) كتاب الأغانى ٨ : ٩٢ - ١٠١ .

(٢) ٥ : ١٨٥ .

تيمه حب هُذَلية حسناء ، دعا الفقهاء الستة الآخرين فى أشعاره التى يخاطبها بها ، ليشهدوا على قوة حبه الذى بَرَّح به ، قال [(١)] :

أحبُكِ حبا لو علمتِ ببعضه لَجُدْتِ ولم يَصعب عليك شديدُ
وحبُك - ياأُمَّ الصَّبىّ - مُدَلِّهى شهيدى أبو بكر ، وأىّ شهيدِ
ويعلم وَجْدى القاسمُ بن محمد وعُرْوَة ماألقَى بكم ، وسَعيدُ
ويعلم ماأُخفى سليمانُ علمَه وخارجةٌ يُبْدِى لنا ويُعِيدُ
متى تسألى عما أقول فتُخْبَرِى فلَلْحُبُ عندى طارفٌ وتليدُ

ومن هؤلاء الفقهاء المشهورين من لم يشتهر بقول الشعر ، ولكن اشتهر بتذوق الفن الشعرى فى عصره ونقده ؛ مثل أحد الفقهاء الستة الذين ذكرهم عُبيد الله شهودا على حبه ، أعنى سعيدَ بن المُسَيَّب ، وهو ابن امرأة أبى هريرة وأحد أركان علم الحديث ، فحينما حياه نوفل بن مُساحِق ، وهو فى مجلسه بمسجد المدينة وحوله تلاميذه ، سأله : أىٌّ أشعر : أعبد الله بن قيس الرقيات ، أم عمر بن أبى ربيعة [(٢)]، والتفت عبد الله بن قيس نفسه إلى سعيد ، واستفتاه فى شعره الأخير [(٣)] . وفى « كتاب الأغانى » [(٤)] خبر يبين قدر إعجاب هذه الجماعات بالكلام البليغ فى جميع الظروف . فيروى عبد الله بن عمر : « خرجت حاجا ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رَفَثَتْ فيه . فأدنيت ناقتى

(١) الأغانى ٨ : ٩٦ . الشهود السبعة هم : أبو بكر بن عبد الرحمن ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله نفسه .

(٢) الأغانى ١ : ٥٠ .

(٣) الأغانى ٤ : ١٦٣ .

(٤) نفس المرجع ١٧ : ١٢٠ .

منها ، ثم قلت لها : ياأَمَةَ الله ، ألستِ حاجّة ؟! أما تخافين الله ؟ فسفَرَتْ عن وجه يَبْهَر الشمس حسنا ، ثم قالت : تأمل ، ياعمى ، فإنى ممن عَنى العَرْجىّ بقوله :

من اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغين حِسْبَة ولكنْ ليَقتُلْنَ البرىَّ المُغَفَّلا

قال : فقلت لها : مَهْلا ، فإنى أسأل الله ألّا يعذِّبَ هذا الوجه بالنار .

قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : أَمَا ، والله لو كان من بعض بُغَضاء العراق لقال لها : اعْزُبى ، قَبَحَكِ الله ! ولكنه ظَرف عُبَّاد الحجاز » .

لم نبعُد كثيرا عن موضوعنا بإقحام هذا الخبر ، كما يبدو ، لأن سعيدا يستحق الوقوف عنده قليلا فى هذا المقام ، إذ ينبغى أن نشكره لقوله القيّم بأن المغازى كانت موضوعا محببا للحديث فى مجتمع أشراف المدينة . فهو يقول كما فى الطَّبَرىّ [١] : « بينا نحن عند مروان ابن الحكم » ومن الواضح أن ذلك كان زمنَ ولاية مَرْوان على المدينة ، وربما كان عام ٥٦ هـ « إذ دخل حاجبه ، فقال : هذا أبو خالد حكيم ابن حِزام . قالَ : ائذنْ له . فلما دخل حكيم بن حزام ، قال : مَرْحَبا بك ، يأبا خالد ، ادْنُ ، فحال له مروانُ عن صدر المجلس ، حتى كان بينه وبين [٢] الوسادة . ثم استقبله مروان ، فقال : حدِّثْنا حديث بَدْر . قال : خرجنا ... » وكذلك فعل عبد الملك بن مروان بعد أن صارت إليه الخلافة ، فكان يسأل كبار التابعين عن أخبار بدر .

---

(١) الطبرى ١ : ١٣١٣ .

(٢) كذا فى الأصل . وفى رواية فى هامش الطبرى : « بينه وبينه الوسادة » ، وهى أقرب إلى الفهم – ح .

ولنرجع مرة أخرى إلى أبان ، ولن ندهش بعد ماقيل عن ميول الفقهاء والمحدّثين الأعلام إلى الفن الشعرى ، إذ نسمع أن أبانا أيضا كان محبا للشعر . يقول أبو الزناد [١] إنه قلما كان فى صحبته دون أن يسمعه يتمثل بأشعار الربيع بن أبى الحُقَيْق ، شاعر المدينة اليهودى :

سئمتُ وأمسيتُ رهنَ الفرا	شِ مِن جُرْمِ قومى ومن مَغْرَمِ
ومن سفهِ الرأيِ بعد النُّهَى	وعيبِ الرشادِ ولم يُفْهَمِ
فلو أن قومى أطاعوا الحليـ	ـمَ لم يَتَعَدّوْا ولم يُظْلَمَ
ولكن قومى أطاعوا الغُوا	ةَ حتى تعكّس أهل الدَّم
فأودى السفيهُ برأى الحليـ	ـمِ وانتشر الأمرُ لم يُبْرَمِ

ويقول يزيد بن عياض [٢] إن أبانا لم يخطئ ، وهو وال على المدينة ، إلا فى سماحه لعبد الله بن جعفر ابن أخى علىّ المذكور آنفا ، بالذهاب إلى بلاط دمشق حين رضى عبد الله أن يبعث إليه غلامه الزامر . ويوصف أبان أيضا بأنه رجل يميل للدُّعابة والفكاهة [٣] ، ويورد

---

(١) الأغانى ٢١ : ٩٢ .

(٢) البلاذرى : الأنساب ، تحقيق آ لورد Ahlwardt ٢٠٩ .

(٣) الأغانى ١٧ : ١٠٢ – ابن هرمة عن أبيه ، قال : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم ، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل فى أعلى المدينة ، له لقب يغضب منه ، فيقول له : أنا فلان بن فلان ، ثم يهتف بلقبه . فيشتمه أقبح شتم ، وأبان يضحك . فبينما نحن ذات يوم عنده ، وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابى ، ومعه جمل له ، والأعرابى أشقر أزرق أزعر غضوب ، يتلظى كأنه أفعى ، وتبين الشر فى وجهه ، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا ، والله من البادية ، ادعوه . فدُعى وقيل له : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك . فأتاه فسلم عليه . فسأله أبان عن نسبه ، فانتسب له فقال : حياك الله ياخالى ، حبيب ازداد حبا . فجلس ، فقال له : إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان ، فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهذه =

« كتاب الأغانى » مثالا لهذا الليل .

= القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذى جعل ظفرى به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ فقال : نعم ، أيها الأمير . فقال : فإنى قد بذلت لك به مائة دينار . وكان الجمل يساوى عشرة دنانير ، فطمع الأعرابى ، وسرّ ، وانتفخ ، وبان السرور والطمع فى وجهه . فأقبل أبان على أشعب ، ثم قال له : ويلك ، يا أشعب ! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك - يعنى الطمع - فأوسع له مما عندك . فقال له : نعم ، بأبى أنت ، وزيادة . فقال له أبان : ياخالى ، إنما زدتك فى الثمن على بصيرة ، وإنما الجمل يساوى ستين دينارا ، ولكن بذلت لك مئة لقلة النقد عندنا ، وإنى أعطيك به عروضا تساوى مئة . فزاد طمع الأعرابى ، وقال : قد قبلت ذلك ، أيها الأمير . فأسر إلى أشعب ، فأخرج شيئا مغطى ، فقال له : أخرج ماجئت به . فأخرج جرد عمامة خز خلق ، تساوى أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب . فقال له : عمامة الأمير تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ، خمسون دينارا . فقال : ضعها بين يديه . وقال لابن زبنج : أثبت قيمتها . فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيظا ، ولم يقدر على الكلام . ثم قال : هات قلنسوتى . فأخرج قلنسوة طويلة خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن ، وتخرقت ، تساوى نصف درهم . فقال : قوم . فقال : قلنسوة الأمير تعلو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ، ثلاثون دينارا . قال : أثبت . فأثبت ذلك ، ووضعت القلنسوة بين يدى الأعرابى ، فتربد وجهه ، وجحظت عيناه ، وهمّ بالوثوب ، ثم تماسك وهو متقلقل ، ثم قال لأشعب : هات ماعندك . فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا . فقال له : قوم . فقال : خفا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبى - ﷺ - ، أربعون دينارا . فقال : ضعهما بين يديه . فوضعهما ، ثم قال للأعرابى : اضمم إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان : اذهب فخذ الجمل . وقال لآخر : امض مع الأعرابى . فاقبض منه مابقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون دينارا . فوثب الأعرابى ، فأخذ القماش ، فضرب به وجوه القوم ، لا يألوا فى شدة الرمى به . ثم قال له : أتدرى - أصلحك الله - من أى شئ أموت ؟ قال : لا . قال : لم أدرك أباك عثمان ، فأشترك والله فى دمه ، إذ ولد مثلك . ثم نهض مثل المجنون ، حتى أخذ برأس بعيره . وضحك أبان حتى سقط ، وضحك كل من كان معه . وكان الأعرابى بعد ذلك ، إذا لقى أشعب يقول له : هلم إلى ، يابن الخبيثة ، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم . فيهرب أشعب منه - ح .

عروة بن الزبير

لم يمض غير قليل على مولد أبان ، حتى وُلِدَ عُرْوَةُ بن الزُّبَير ، الذى كان مِثلَه فى المعرفة بالمغازى . وقد وَصل إلينا من مجموعاته عدد كبير من الأحاديث بخلاف الحال عند أبان .

يَنتسب عُرْوَة أيضا إلى طبقة الأشراف السابقين إلى الإسلام ، وافتخر عُرْوَة بانتسابه إلى أشرف نساء الصدْرِ الأول من الإسلام فى جوابه عن عبارة للحجَّاج جارحة (١) ، وقد حدث بينهما نقاش حوالى عام ٧٥ هـ ، وهاك ماجرى :

« وفد عروة مع الحجاج ، فقال يوما : قال أبو بكر [يعنى أخاه عبد الله] ، فقال الحجاج : لا أم لك ، أتَكْنِى منافقا عند أمير المؤمنين ! فقال له : ألِى تقول : لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة ؟ أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وجدتى صفية بنت عبد المطلب ، وخالتى عائشة ، وعمتى خديجة بنت خويلد » . وكان العَوَّام جد عروة أخا لخديجة ، وكان أبوه الزُّبَير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأخوه عبد الله الذى ذكرناه آنفا ، قائد أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضَوا خلافة يزيد ، وحكم فى مكة من عام ٦٤ - ٧٣ هـ . وكان عُرْوَة يَصْغُرُ عبد الله بكثير من السنين ، وقد تلقى عبد الله أنباء مولد أخيه الأصغر عند مارجع عام ٢٦ هـ إلى المدينة من الحملة الإفريقية (٢) . ولم يستطع عروة أن يشترك فى معركة الجَمل (٣٦ هـ) التى لقى فيها أبوه حتفه ،

---

(١) البلاذرى : الأنساب ٦٣ .

(٢) الأغانى ٦ : ٥٩ . وقال ابن أبى خيثمة (فى ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٤) إن عروة « كان يوم الجمل ابن ثلاث عشرة » . وإذن فمولده فى عام ٢٣ هـ .

إذ لم يسمح للصبى ، الذى كان فى العاشرة من عمره بالإشتراك فيها ، على حين اشترك فيها أبانٌ الذى يَكْبُرُهُ قليلا (١) . فبقى عروة عندئذ فى بلدته . ويذكر اسمه لأول مرة فى حادث سياسى ، هو انتقام خالد بن المهاجر ، ابن أخى عبد الرحمن بن خالد المقتول ، من قاتله (٢) .

وكان عُرْوَةُ يجتمع كل ليلة فى نظام ببعض أصدقائه فى مسجد المدينة ، فى الأعوام الأخيرة من عهد معاوية (٤١ - ٦٠ هـ) ، أى بعد عام ٥٥ هـ بقليل . ويقول قَبيصة (٣) وكان عضوا فى هذه الجماعة ، وأصبح فيما بعد موضع ثقة الخليفة عبد الملك ، إن من أعضائها مصعبا أخا عروة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن مِسْوَر ، وإبراهيم بن عبد الرحمن ، وعبد الله ابن عبد الله ، عِلاوة على قَبيصة نفسه وعُرْوَة (٤) .

ووعت الرواية ، كما رواها لنا ابن خلكان (٥) ، تلك الاجتماعات الليلية ، ولكنه وَهِمَ فأضاف اسم عبد الله بن الزبير إلى أسماء المشتركين ، على حين ترك الأسماء غير المهمة ، يقول : « إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان ، وعبد الله بن الزبير ، وأخويه مصعب وعروة المذكور ، أيام تآلفهم بعهد معاوية بن أبى سفيان . فقال بعضهم : هلمّ فلنَتَمَنَّه . فقال عبد الله بن الزبير : أمنيتى أن أملك الحرمين وأنال الخلافة . وقال مصعب : أمنيتى أن أملك العراقيْن وأجمع

---

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ . انظر الطبرى ١ : ٣١٠٣ إلى ٣١١٣ .

(٢) الطبرى ٢ : ٨٢ . انظر أيضا لمر Lammer: دراسات عن خلافة معاوية الأول ، ٣ : ٢١٨ وما بعدها .

(٣) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعى .

(٤) البلاذرى : الأنساب : ٢٥٧ .

(٥) الوفيات ، طبعة بولاق ١ : ٣٩٩ ، فى ترجمته .

بين عقيلتى قُرَيْش : سُكَيْنة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة . وقال عبد الملك بن مروان : أُمْنيتى أن أملك الأرض كلها ، وأخلف معاوية . فقال عروة : لستُ فى شئ مما أنتم فيه ، أُمْنيتى الزّهد فى الدنيا ، والفوز بالجنة فى الآخرة ، وأن أكون ممن يُرْوَى عنه العلم . قال : فصرف الدهر من صرفه ، إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله ، وكان عبد الملك لذلك يقول : « مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى عُرْوَة بن الزُّبير » .

وقد قطع عروة إقامته فى المدينة بسبع سنين غابها فى مصر ، ويقول عنها عروة نفسه « أقمت » - كذا يقول عُرْوَة كما فى البَلَاذُرِى [١] - « بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حُمل عليهم فوق طاقتهم ؛ وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد ، وشئ مفروض عليهم » .

وإذ كنا نعلم [٢] أن عروة كان فى مصر حين خلع أخوه طاعة الخليفة يزيد وأن الوالى الذى عينه عبد الله عام ٦٤ على مصر اضطر إلى تركها فى العام التالى ، فإننا قد نستنتج أن الأعوام السبعة التى قضاها عروة فى مصر كانت من ٥٨ - ٦٥ هـ . وفى أثناء محاربة عبد الله للخليفة وقف عروة فى صف أخيه . وحين قتل أخوه مصعب عام ٧٢ هـ فى الحرب من أجل عبد الله ، ولى عروة تركته [٣] ، واستمر مع أخيه فى أثناء محاصرته فى مكة [٤] . وبعد مَقْتل عبد الله وضياع

---

(١) الفتوح ، تحقيق دى غويه De GoeJa ٢١٧ .

(٢) الجمحى : طبقات الشعراء ، تحقيق هل Hall : ٣٥ .

(٣) الأغانى ١٤ : ١٦٨ .

(٤) البلاذرى : الأنساب : ٤٧ .

قضيته (٧٣ هـ) ارتحل عُرْوَة مباشرة إلى عبد الملك الخليفة ، الذى لم يكن ينازعه حينئذ أحد ، والذى اعتاد عروة أن يلقاه لقاء مستمرا فى مسجد المدينة فى الأعوام الأخيرة من عهد معاوية ، كما رأينا . وهناك عدة روايات [١] فى المراجع الرئيسة عن رحلة عروة إلى عبد الملك ، ولكنا نَرْوِى هنا رواية عبد الله بن فائد :

« ركب عروة ناقة لم يُدْرَك مثلها ، فقدم الشام قبل قدوم رسل الحجاج بقتل عبد الله بن الزبير على عبد الملك ، فأتى باب عبد الملك ، فاستُؤْذِن له ، فلما دخل سلم بالخلافة ، فرد عليه عبد الملك ، ورحب به وعانقه ، وأجلسه على السَّرِير . ثم قال عُرْوَة :

نمتّ بأرحامٍ إليكَ قريبةٍ ولا قُرْبَ للأرحام مالم تُقَرَّبِ

ثم تحدث حتى جرى ذكر عبد الله ، فقال عُرْوَة : إن أبا بكر [٢] بان . فقال عبد الملك : وما فعل ؟ قال : قُتل رحمه الله . فخر عبد الملك ساجدا ، فقال عُرْوَة : فإن الحجاج صَلَبه ، فهَبْ جُثَّتَه لأمه . قال : نعم . وكتب للحجاج يعظم مابلغه من صَلْبه ، وكتب إليه : إياك وَعُرْوَة ، فقد آمنته . فكان مسيره من الشام راجعا إلى مكة ثلاثين يوما ، فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن خشبته ، وبعث بها إلى أمه ، فغسلته ، فلما أصابه الماء تقطع ، فقالت : قيل لى فى المنام ، يا أم المقطَّع ، فكنت أظنه المنذر ، لأنه جُدِّع بالسيوف ، ولم أظنه ابنى . فغسلته عضوا عضوا ، فاستمسك ، ودفنته ، وصلى عليه عُرْوَة » .

---

(١) الواقدى فى البلاذرى : الأنساب ٦٥ . نفس المرجع ٦١ ؛ أمير بن حفص بنفس المرجع ٦٣ ؛ المدنى عن عبد الله بن سعيد ، نفس المرجع ٦٢ .

(٢) كنية عبد الله . وقد ذكرنا قبل اعتراض الحجاج على استعمالها فى الحديث مع الخليفة . (وبان : فارق ، ويكنى بها عن قتله – ح) .

وعامل عبد الملك عُرْوَة بالاحترام الذى كان يتوقعه منه ، ولكن عُرْوَة تألم من بعض الدمشقيين ، كما يخبرنا ابنه هشام [١] . فبينما كان عروة جالسا مع عبد الملك ، إذ جاء قوم ، ووقعوا فى عبد الله بن الزُّبير ، فخرج عُرْوَة قائلا للحاجب : « إن عبد الله بن الزبير ابن أُمِّى وأبى ، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لى عليكم » . فلما سمع ذلك عبد الملك قال : « إن أخاك لم يكن قتلُنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمرا وطلبناه ، فقتل دونه ، وإن أهل الشأم قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلا شتموه ، فإذا أذِنَّا لأحد قبلك ، فقد جاء من يشتمه ، فلا تدخل . وإذا أذنَّا لأحد وأنت جالس ، فانصرف » .

ولا نعلم شيئا عن أية زيارة أخرى من عُرْوَة لعبد الملك ، غير أنهما كانا يتبادلان الرسائل الأدبية بعد عودة عروة إلى المدينة .

ثم ارتحل عروة إلى دمشق مرة ثانية بعد ارتقاء الوليد العرش فى عام ٨٦ هـ [٢] ، وكان معه ابنه وصديق أسرته الشاعر إسماعيل بن يسار [٣] ، وقد لاحق النحس عروة فى هذه الزيارة الثانية لدمشق . فقد سقط ابنه من سطح مشرف على اصطبلات الوليد ، وكان يطل منها ليرى مافيها من الدواب ، فوقع وسطها وكانت هائجة ، فما زالت تركله حتى مات ، واضطُرّ عُرْوَة نفسه إلى قَطْع رجله ، بسبب فساد فى عظمها .

وقد حفظ كتاب الأغانى [٤] القصيدة التى نظمها إسماعيل بن

---

(١) الأغانى ١٦ : ٤٥ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ . توفى عروة فى عام ٩٤ هـ .
(٣) الأغانى ٤ : ١١٩ .
(٤) الأغانى – طبع بولاق ١٦ : ٤٥ .

يسار في رثاء محمد ، وفيه كذلك رواية هشام بن عُرْوَة لهذه الحوادث المؤلمة [١] قال : « ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شكت رجله ، فقيل له : اقطعها . قال : إنى لأكره أن أقطع منى طابَقا . فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنها إن وقعت فى الركبة قتلتك . فقطعت ولم يَقْبِض وجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لاتجد معه ألما ، فقال : مايسعنى أن هذا الحائط وقانى أذاها ... ... [و] سقط محمد بن عروة بن الزبير ، وأمه بنت الحكم بن أبى العاص ابن أمية ، من سطح فى إصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك ، فضربته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروة رجل يعزيه ، فقال عُروة : إن كنت تعزينى برجلى فقد احتسبتها . فقال : بل أعزيك بمحمد . قال : وماله ؟ فخبره بشأنه ، فقال :

وكنتُ إذا الأيام أحدثن هالكا أقول شَوًى ، مالم يُصِبْنَ حَمِيمِى

اللهم ، أخذتَ عضوا وتركت أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت لقد عافيت . فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق » .

وتخبرنا عدة روايات أخرى [٢] نفس خبر قطع رجل عروة ، ومنها الرواية التالية [٣] : « إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قطعت رجله ، فقال عروة

---

(١) الأغانى ١٦ : ٤٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ ؛ ابن خلكان ١ : ٥٦٨ : الذهبى : تهذيب ٥ ، عروة أيضا .

(٣) ابن الماجشون فى « كتاب الأغانى » ١٦ : ٤٦ .

لبعض بنيه : اكشف لعمك عن رجلى ينظر إليها . ففعل . فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ياأبا عبد الله ، ما أعددناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ماكنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمك . فقال عروة : ما عزانى أحد عن رجلى مثلك » .

وكان عروة يتردد على أمير من أمراء الأمويين ، وهو عمر بن عبد العزيز فى أثناء ولايته على المدينة (٨٧ - ٩٣ هـ) . وكان عروة أحد الفقهاء العشرة الذين استدعاهم عمر [١] بعد أن وَلِى المدينة ، ويَنسب ابن سعد أحد الأحاديث النبوية التى ذكرها عمر فى الأيام التى كان يبنى فيها مسجد المدينة (٨٨ هـ) لعُرْوَة [٢] . ومع ذلك عارض عروةُ الوالىَ معارضة عنيفة حين كَذَّبَ قوله : إن عائشة لم تحبَّ أحدا أكثر من حبها لعبد الله بن الزبير ، ماعدا النبيّ ووالديها [٣] . ولم يكن عروة نفسه يميل إلى إذكاء نار الخصومة بين الآراء الداخلية للجماعة الإسلامية ؛ ويُروى أنه كان يقول [٤] : « كان علىّ أتقى لله من أن يعين فى قتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله علىّ » . وكان عروة يجتمع كل مساء ببعض أحفاد علىّ . وهو على بن الحسين (توفى عام ٩٢ أو ٩٤ هـ) فى الجزء الخلفى من مسجد النبى ؛ ويروى عبد الله بن حسن حديثا لعروة مع على اشترك فيه عبد الله نفسه [٥] ، قال : « فتحدثنا ليلة » - فى عهد عبد الملك أو الوليد - « فذُكِر جَوْرُ من جار

---

(١) الطبرى ٢ : ١١٨٣ .
وإنما دعاهم ليكونوا مستشارين له فى الأحكام - ح .
(٢) ٣ أول : ٨٢ .
(٣) الأغانى ٨ : ٩٣ .
(٤) المبرد : الكامل ٤٤٤ .
(٥) ابن سعد ٥ : ١٣٥ .

من بنى أمية والمُقام معهم ، وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ثم ذكرا مايخافان من عقوبة الله لهم ، فقال عُرْوة لعليّ : ياعليّ ؟ إن من اعتزل أهل الجور ، والله يعلم منه سُخْطه لأعمالهم ، فإن كان منهم على مِيل ، ثم أصابتهم عقوبة الله ، رُجى له أن يسلم مما أصابهم . قال : فخرج عُرْوة فسكن العَقيق [١] ، قال عبد الله : وخرجت أنا فنزلت سُوَيقة » . وتشبه العبارات المنسوبة هنا لعروة عن حكم الأمويين الجائر ، أن تكون دفاعا عن موقفه من حكام دمشق ، الذين لم يعطهم طاعته ، والذين ظل مرتبطا بهم حتى فى المدينة ، أمام كثير من المتدينين .

وليس لدينا خبر يقينى عن سنة وفاة عُروة ؛ ولكن معظم الثقات يذكرون أنه توفى عام ٩٤ هـ [٣] . وقد مات فى ضيعته فى مُجاح بجوار الفُرع ، وقد ذكرنا آنفا من أبنائه محمدا وهشاما أكثر من مرة . ونعرف أسماء ستة أبناء آخرين غيرهما [٣] .

ويشتهر عُرْوة شهرة كبيرة بمعرفته الحديث ، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وقد مكنته إقامته بها من الإلمام بكثير من الأخبار عن الأيام الأولى من الإسلام خاصة ؛ عرفها من والده ومن أمه ومن عائشة أكثر من غيرها ، وكان لايقطع زيارتها وسؤالها . ويخبرنا مجاهد [٤] عن قصته حين سأل هو وعروة ابنَ عمر عن عدد عُمَر النبى ، ثم ذهب عروة لعائشة ، حين لم يَشْفهما جواب ابن عمر ، فأجابتهما بجواب آخر .

---

(١) كان فى العقيق بئر ، يعرف باسم بئر عروة . انظر : معجم البلدان ١ : ٤٣٣ ؛ ابن قتيبة : المعارف ١١٤ .

(٢) ابن سعد ٥ : ١٣٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ١١٤ ؛ البخارى : تاريخ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ .

(٤) الطبرى : ١ : ١٧٦٥ .

ويستحق ابنه هشام ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ عناية خاصة من بين هؤلاء الذين روَوا عن عروة الأحاديث التي جمعها .

وقد روى لنا ابنه هشام [١] أن أباه عروة أحْرَقَ كتبه في الفقه في يوم الحَرَّة (٦٣ هـ) ، التي هَزم فيها يزيد أهل المدينة ، وقد حَزِن على فقدها كثيرا فيما بعد . ولا نجد أية إشارة [٢] إلى كتب أخرى عَلَّق عليها أو وُجدت عنده .

ولم يقتصر عروة على تلقين تلاميذه الأخبار التي تلقاها عن الثقات الذين أخذ عنهم ؛ بل دوّن معلوماته عن حوادث الصدر الأول من الإسلام ووصل إلينا بعض رسائله المدونة في كتب ابن إسحاق والواقديّ والطبريّ . والمخاطب بتلك الرسائل في القطع الواردة في الطبري هو الخليفة عبد الملك في الغالب ، وأما في القطع الأخرى فالمخاطب ابن أبي هُنيدة ، الذي عاش في كنف الخليفة الوليد . وكان عبد الملك في شبابه يجالس الفقهاء [٣] ، وكان مشغوفا [٤] بالتزوّد من علمهم . فكان يحفظ فتاوى الخليفة عثمان عن ظهر قلب ، وسمع الحديث من أبي هريرة ، وأبي سعيد الخُدْري ، وبعض الصحابة الآخرين [٥] ، فلم يكن من الغريب إذن أن يتجه نظره إلى المدينة التي كان يعرف لها منزلتها [٦] في رواية الأحاديث ، ويبحث عن التزود

---

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ .

(٢) الذهبي : تهذيب (ت . فيشر Fischer : تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق) .

(٣) ابن سعد ٥ : ١٦٧ .

(٤) نفس المرجع ٥ : ١٧٤ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ .

(٦) نفس المرجع ٥ : ١٧٣ .

بأخبار المغازى من عروة ، وقد يسَّرت له إقامته بالمدينة من قبل أن يعرف أنه أوثق الناس فيها ، وكان قد حاز رضاه منذ انتهت ثورة عبد الله .

والقطعة الأولى (١) من أجوبة عروة لعبد الملك كانت عن الهجرة إلى الحبشة ، ويتصدرها إسناد مفصل تجرى نهايته كما يلى : « أبانٌ العطار قال : ثنا هشام بن عُرْوة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك ابن مروان ... » ونجد الإسناد نفسه فى قطعة ثانية (٢) ، غير أنه يقول فى آخره : « عن عروة أنه قال » ولم يقل : « كتب إلى عبد الملك » ، ومع ذلك لا يخامرنا أىّ شك فى أننا أمام قطعة من كتاباته إلى عبد الملك ، لأن هذه القطعة يتصل مافيها بما فى القطعة الأولى ؛ فتبدأ بالهجرة إلى الحبشة التى سببتها الفتنة الأولى ، ثم تضيف إلى ذلك قصة هجرة الصحابة والنبى إلى المدينة ، التى سببتها الفتنة الثانية ؛ ويستعمل عروة لفظ « فتنة » فى هذه القطع معتمدا على السورة ٨ : ٣٩ . ويشير إلى نفس الآية ثانية فى القطعة التالية (٣) ، التى تحكى هجرة النبى نفسه . وهناك نفس الإسناد أيضا ، بيد أنه يوجد لفظ « قال » بدلا من لفظ « كتب إلى عبد الملك » ، ومن الواضح أن الفقرات الثلاث مأخوذة من رسالة واحدة أرسل بها إلى عبد الملك . ثم نجد الأمر أكثر وضوحا ، إذ يصرح فى إسناد شبيه بالماضى (٤) : « ثنا هشام بن عروة

(١) الطبرى ١ : ١٨٠ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٢٢٤ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٢٣٤ .
وتقول الآية : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ - ح .
(٤) الطبرى ١ : ١٢٨٤ .

عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد : فإنك كتبت إلىّ فى أبى سفيان ومَخْرجه ؛ تسألنى كيف كان شأنه ... » . ثم يلى ذلك وصف مُفَصَّل لموقعة بدر يبدأ بما يلى : « كان من شأنه أن أبا سفيان ... » ، ويستمر فى حديثه . ويشير عروة هنا أيضا إلى الآيات كثيرا ، وتجرى المقدمة فى قطعة أخرى كما يلى [١] : « ثنا هشام بن عروة عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ، وبأمر من أغار ؟ » .

ويبدأ الجواب قائلا : « وإنه كان من شأن خالد » ، ويستمر فى حديثه ، ولذلك لانشك هنا أيضا حينما لانجد فى القطعة التالية [٢] ، عن نفس الإسناد غير « ثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال » فى أننا أمام قطعة أخرى من الجواب لعبد الملك ؛ لأن الكلمات الأخيرة من القطعة المتقدمة [٣] تَرِدُ هى بنصها فى بداية هذه القطعة ؛ ومن الواضح أن فقرة أخرى من نفس الرسالة إلى عبد الملك توجد أمامنا فى قطعة أخيرة [٤] . وقد حفظ الطبرى أيضا جوابا قصيرا لعروة عن سؤال من عبد الملك عن تاريخ وفاة خديجة [٥] ، وآخر عن سؤال من الوليد : هل تزوج النبى أخت الأشعث بن قيس [٦] . وعلى حين يروى ابنه هشام جميع هذه الرسائل التى تحوى أجوبة عروة عن أسئلة عبد الملك والوليد ، نجد الزهرى هو الذى يروى لنا نص الجواب الذى وجهة عروة لابن أبى

---

(١) الطبرى ١ : ١٦٣٤ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٦٥٤ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٦٣٦ .
(٤) نفس المرجع ١ : ١٦٧٠ .
(٥) نفس المرجع ١ : ١٧٧٠ .
(٦) نفس المرجع ٣ : ٢٤٥٨ .

هُنيدة [١] ، صديق الخليفة الوليد ، الذى سأله عن السورة ٦٠ : ١٠ ، فشرح له عروة المناسبة التاريخية التى تشير الآية إليها [٢] .

وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا ، أقدم المدونات التى حُفظت لنا عن حوادث خاصة فى حياة النبى ، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخى العربى . وعلى الرغم من أننا لانجد فى أى مرجع قديم [٣] أن عروة ألف كتابا حقيقيا عن المغازى ، فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث فى حياة النبى . بل يتضح من الفقرات التى وصلت إلينا أن عروة بنى أجوبته المدونة على الأحاديث التى جمعها بنفسه ؛ لأنه وإن كان لا يصرح باسم رُوَاته فى تلك الأجوبة عامة ، فإنه يخرج على تلك القاعدة فى خبره عن هجرة النبى حين يذكر أنها مبنية على ماأخذه عن عائشة [٤] . أضف إلى ذلك أنه يجعلنا نفهم فى المواضع التى يذكر فيها أقوال النبى ، أنه عرفها بتلك الطريقة [٥] ، ولذلك يعدّ من الخطأ القول بأن عروة كان خصما للأسانيد ؛ إذ تبين الرسائل نفسها أنه اتبعها ، حتى حين لم يكن فى هذه الكتابات إلا قليل العناية بذكرها . وإذن كان الإسناد فى ذلك العهد –

---

(١) ابن هشام ٣ : ٣٤٠ ؛ الطبرى : تفسير ٨ : ٤٢ .

(٢) تقول الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ – ح .

(٣) انظر حاجى خليفة .

(٤) الطبرى ١ : ١٢٣٥ ؛ نفس المرجع ١٢٣٧ .

(٥) الطبرى ١ : ١٢٣٧ ، ١٢٨٨ ، ١٦٣٥ .

حوالى عام ٧٥ هـ - قد ظهر بصورته البسيطة ، وليس للمرء الحق أن ينكر على عروة بدون تأمل وتحقيق الأحاديث التى رواها عن الثقات لمجرد ظهور الإسناد عرضا فى رسائله .

ويتكلم عروة أكثر من مرة عن أهمية الحديث (١) ، ولا ينسى أن يذكِّر أبناءه أنهم يستطيعون أن يجعلوا الناس فى حاجة دائمة إليهم بمعرفتهم الحديث (٢) ؛ ويخبرنا ابنه هشام أن عروة لم يقل فى شئ قط برأيه (٣) ، وإنما كان يُعَوِّل على الحديث . وقد وصل إلينا عدد كبير من أحاديث عروة ؛ وأكثر من روى عنه ابنه هشام والزهرى . ونجد رواياته فى مجموعات الأحاديث كما نجدها فى كتب السيرة ، وقد حفظ لنا ابن إسحاق والواقدى وابن سعد والطبرى عدة أحاديث عن عروة ؛ وتأخذ أقدم سير النبى التى بأيدينا جزءًا كبيراً جداً من مادتها من مجموعاته . وإذا كان بعض هذه الأخبار قد نسب إليه خطأ ، فليس لدينا مايجعلنا نشك فى انتماء معظمها له . وغالبا ماتكون روايته فى تلك الأخبار عن عائشة إلى جانب روايته عن غيرها من صحابة النبى . ومع ذلك توجد طائفة كبيرة من الأحاديث لايذكر عروةُ رواتَها ؛ ومن الحق أن الإسناد كان قد أصبح عادة فى عصره ، ولكنه لم يكن ضربة لازب . أضف إلى ذلك أن عروة رجع أيضا إلى وثائق مكتوبة ؛ فيذكر مثلا نص الرسالة التى وجهها النبى لأهل هَجَر (٤) . وتُعنَى الأخبار

---

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٢ .

(٣) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٣ .

(٤) البلاذرى : فتوح ١٧٩ .

المروية عن عروة بجميع أجزاء حياة النبى ، كما تُعنى أيضا بحوادث عهد الخلفاء الأولين .

ومن الخطأ أن نظن أن عروة قصر اهتمامه على معرفة أقوال النبى والأخبار الخاصة بحياته . فعلى الرغم من كونه فقيها ومحدِّثا – ككثير من أمثاله – كان معنيا برواية الشعر وحفظه . يقول أبو الزناد عنه [١] : « ما رأيت أروى للشعر من عروة ، فقيل له : ماأرواك ، ياأبا عبد الله ! فقال : مارواىتى فى رواية عائشة ؟ ماكان ينزل بها شئ إلا أنشدت فيه شعرا » . وحتى إذا لم نصدق اقتداءه بعائشة ، واعتبرناه إنما ذكرها ليدلل على إباحة الاقتباس من الشعر فى المغازى ، فإننا لانشك فى أن عروة كان محبا للشعر . وقد كان على صلات حسنة بإسماعيل بن يسار الشاعر [٢] ، الذى صحبه فى وفادته على عبد الملك والوليد ، والذى رثى محمد بن عروة . كما كان أيضا ذا صلات طيبة بشاعر قريش الغَزِل ، عمر بن أبى ربيعة [٣] ، ولكنه كان يسئ الظن بشاعر النبى الخاص حسانَ بن ثابت [٤] .

أضف إلى ذلك أن الميل للشعر امتد إلى أشخاص آخرين من آل بيته . فأظهر أخوه عبد الله ، الذى اتهم [٥] بانتحال بعض أبيات معن بن أوس ، أنه كان عالما بالشعر [٦] ؛ واشتهر أخوه جعفر بأنه شاعر ؛ وله فصل خاص فى « كتاب الأغانى » فيه بعض أبيات يخاطب بها عروة [٧] . وحفظ

---

(١) الذهبى : انظر فيشر : تراجم .

(٢) الأغانى ٤ : ١١٩ .

(٣) نفس المرجع ١ : ٦٤ .

(٤) نفس المرجع ٤ : ١٥ .

(٥) المبرد : الكامل ٣٥٧ .

(٦) الطبرى ٢ : ٣٩٧ .

(٧) الأغانى ١٣ : ١٠٥ وما بعدها .

« كتاب الأغانى » [١] مقطوعة تهكمية نظمها عروة نفسه فى عائشة بنت طلحة بمناسبة حجها . ولا يخجل عروة فى نفس الأخبار التاريخية المروية عنه من رواية الأشعار [٢] المنسوبة إلى هؤلاء المشتركين فى الحوادث ؛ ولذلك يوجد بعض الصدق فى قول أبى الزناد . وقد نستنتج أن عروة أدخل أشعار المشتركين فى الحوادث ، حتى فى الأحاديث الخاصة بسيرة النبى التى رواها لتلاميذه ، كما فعل ابن إسحاق فيما بعد .

شُرَحْبيل بن سعد

الاسم الثالث الذى يذكر فى تاريخ المغازى ، مع أبانٍ وعُروة اللذين ينتميان لأشراف المسلمين ، اسم مولى ، هو شُرَحْبِيل بن سعد ، مولى بنى خَطمة المدنيينّ ، ويقال إنه عرف عليا [٣] (المتوفى عام ٤٠ هـ) ، ومات هو عام ١٢٣ هـ [٤] ، وقد نيّف على المئة ، كذا يقال . ومن الصحابة الذين أخذ عنهم الأحاديث زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى [٥] . وقد تحدث شرحبيل نفسه عن إقامته فى أرض زيد بن ثابت فى الأسواف [٦]

---

(١) نفس المرجع ١٠ : ٦٠ .

(٢) الطبرى ١ : ٢٣٤٨ ، الأغانى ٣ : ١٥ .

(٣) ابن حجر : تهذيب ٤ : ٣٢١ وما بعدها .

(٤) نفس المرجع .

(٥) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ ؛ ابن حجر ٤ : ٣٢١ الذهبى ، ت فيشر (مجلة جماعة المستشرقين الألمان ٤٤ : ١٢ وما بعدها) .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٢٦٩ .

وبرهن [١] موسى بن عقبة أن شرحبيل دوّن قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة ، وأسماء الرجال الذين اشتركوا فى وقعتى بدر وأحد . وصرح سفيان بن عيينة [٢] بأنه لم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدريين منه ، ولكنه اختل عقله [٣] بعد كبره ، ولم يكن يصدقه أحد بسبب فقره ، أعنى أنهم كانوا يخافون [٤] إذا جاء إلى الرجل فلم يعطه ، أن يقول : « لم يشهد أبوك بدرا » ، أو كما يقال فى موضع آخر [٥] : « وكان من أعلم الناس بالمغازى ، فاتهموه أن يكون يجعل لمن لا سابقة له سابقة ، وكان قد احتاج فأسقطوا مغازيه وعلمه » . ولما سمع بهذا موسى بن عقبة قال : « وإن الناس قد اجترءوا على هذا ! » . وعلى حين يقف موسى بن عقبة هكذا إلى جانبه ، كان ابن إسحاق من خصومه ، وقد أجاب [٦] حين سئل عنه : « وَأَحَدٌ يحدث عن شرحبيل ؟! » .

---

(١) ابن حجر ١٠ : ٣٦١ .

يروى ابن حجر الخبر كالآتى : « كان شرحبيل أبو سعد عالما بالمغازى ، فاتهموه أنه يدخل فيهم من لم يشهد بدرا ، وفيمن قتل يوم أحد من لم يكن منهم ، وكان قد احتاج فسقط عند الناس ؛ فسمع بذلك موسى بن عقبة ، فقال : « وإن الناس قد اجترءوا على هذا ! فدب على كبر السن ، وقيد من شهد بدرا وأحدا ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ، وكتب ذلك » . ويدل هذا الخبر بوضوح على أن كاتب القوائم هو موسى بن عقبة ، وليس شرحبيل بن سعد كما فهم المؤلف – ح .

(٢) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ .

(٤) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .

(٥) الذهبى : نفس المرجع ٤٣٧ .

(٦) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .

وليست الأخبار فى المواضع الأخرى فى جانب شرحبيل ، ولكنها ليست كلها كذلك ، فإن ابن حِبّان يذكره بين الثقات . ولا يروى عنه ابن إسحاق أو الواقدى شيئا . أما ابن سعد [١] فيأخذ عنه خبرا عن هجرة النبى من قُباء إلى المدينة ، ولا يذكر شرحبيل فى هذه الفقرة أى إسناد ، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج منها أن تلك طريقته فى كل ماروى ، ويتضح من هذا النص أنه لم يقصر نفسه على المغازى بالمعنى الخاص .

وَهبُ بنُ مُنبه

كان علماء المغازى الثلاثة الذين ذكرناهم حتى الآن – أبانٌ ، وعُرْوَة وشرحبيل – من المدينة ، وقد قضوا حياتهم فيها ؛ أما الرابع : وهو وهب بن منبه [٢] ، الذى يُعد فى التابعين ، ومن نفس الجيل ، فكان من جنوب بلاد العرب ، وهو من أصل فارسىّ ، من إحدى الأسرات الفارسية التى استقرت فى جنوب بلاد العرب ، فى العصور الجاهلية ، تحت حكم كسرى أنوشروان ، وعرفوا بالأبناء ؛ وكان جد وهب الأكبر يلقب بالأسوار ، وقد اعتنق وهب الإسلام عام ١٠ هـ ، بناء على قول واضح الخطأ للواقدىّ [٣] ، ومعناه أنه ولد قبل الهجرة . ولا يمكن كذلك أن نثق بقول عبد الله بن سَلَام [٤] الذى نقله ابن النديم فى الفهرست : إن وهبا من أهل الكتاب الذين أسلموا .

---

(١) ابن سعد ١ : ١٦٠ .

(٢) للبحث عن وهب ، انظر لدزبرسكى Lidzbarski .

(٣) الطبرى ١ : ١٧٦٣ .

(٤) نفس المرجع .

والأكثر احتمالا أنه ولد مسلما ، ولعل قول الواقدى لا يعنى إسلام وهب نفسه ، وإنما يعنى إسلام والده منبه ، الذى يحتمل أنه دخل فى الإسلام عام ١٠ هـ . وليس لدينا مايدعو إلى الشك فى القول بأن وهبا ولد عام ٣٤ هـ (١) ، ذلك القول الذى يلائم مانعرفه من الأخبار الأخرى عن حياته .

وتُذكر ذَمار بجوار صنعاء ، على أنها مَسْقَط رأسه ، ويُذْكَر من إخوته هَمَّام ومَعْقِل وغَيْلان . وتوجد إشارة عند الثعلبى (٢) إلى حديث بين معاوية ووهب ، كما يقال إن الخليفة الوليد عَثَر على حجر عليه نقوش غير عربية (٣) فى أثناء بناء مسجد دمشق (عام ٨٧ هـ) فأرسله إلى وهب لقراءته . وتولّى وهب القضاء فى بلدته مدة من الزمن ؛ ويروى سِماك بن الفضل (٤) حادثة وقعت فى ذلك العهد ، يقول : « كنا عند عروة بن محمد – يعنى أمير اليمن (٥) – وإلى جنبه وهب بن منبه ، فجاء قوم فشكوا عاملهم ، وذكروا عنه شيئا قبيحا ، فتناول وهب عصا كانت فى يد عروة ، فضرب بها رأس العامل حتى سال دمه . فضحك عروة ، وقال : تعتَّب علينا أبو عبد الله الغضبَ ، وهو يغضب ! فقال : مالى لا أغضب ، وقد غضب الذى خلق الأحلام ، وقال (السورة ٤٣ ، الآية ٥٥) : فلما آسَفُونا [أغضبونا] انْتَقَمْنَا مِنْهُم » .

---

(١) ابن حجر ١١ : ١٦٨ .

(٢) صاحب كتاب عرائس المجالس فى قصص الأنبياء – ح .

(٣) المسعودى : مروج ، ط بولاق ٢ : ١١٩ .

(٤) الذهبى ، ت فيشر ٤٤٠ .

(٥) يظهر أن اسم هذا الأمير اليمنى غير معروف فى الكتب الأخرى . وربما كانت ولايته فى الفترة بين عامى ٥٧ – ٧٣ هـ ، التى لا نعرف فيها أسماء ولاة اليمن .

ونعرف من الأهمية الخاصة التى يجعلها وهب للأحلام ، أنه هنا يصف الله خاصة بأنه خالق الأحلام ، وقد اشتهر وهب بأنه « صادق الأحلام » ، وقد ظن وهب أنه فقد هذه الموهبة فيما بعد حين [١] قَبِل أن يلى القضاء . ولم ينفرد وهب بهذا الظن ؛ فكثيرا مانقرأ عن رجال من ذوى الدين كرهوا قبول أعمال خافوا من ممارستها على ورعهم وصفاء نفوسهم . ويوصف وهب فى موضع آخر بأنه رجل يعيش عيشة زاهدة [٢] ؛ فيقال « لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسبّ شيئًا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا ... ولبث أربعين سنة لم يرقد على فراش » .

ويقال إن وهبا كان من المتمسكين بعقيدة القَدَر [٣] فترة من الوقت ، ولكنه رفضه فيما بعد ، لأنه يناقض الوحى . وكان فى عام ١٠٠ هـ فى مكة [٤] ولقى فيها طائفة من الفقهاء المشهورين . وحُبس فى الأعوام الأخيرة من عمره ، لأسباب لانعرف عنها شيئا ، غير أن وهبا تقبل الحبس راضياً لدينه [٥] وقال : « أحدث [الله] لنا الحبس ، فأحدثنا له زيادة عبادة » . ومن المعروف أن الحبس كان نتيجة لأمر من الوالى يُوسفَ بن عمر الثقفى الذى حكم اليمن من عام ١٠٦ إلى

---

(١) الذهبى : نفس المرجع ٤٤٠ .

ولكن المؤلف هنا أساءفهم عبارة وهب ، إذ أنه يعنى بالأحلام العقول لا الرؤى ، وإن كان هذا لا يعنى عدم اهتمام وهب بالأحلام والرؤى – ح .

(٢) الذهبى : نفس المرجع ٤٣٩ ، ابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ الذهبى : ٤٤٠ .

(٤) الذهبى ٤٤٠ .

(٥) الذهبى ٤٤٢ .

١٢٠ هـ ، وضرب وهبًا فى عام ١١٠ هـ حتى أشفى على الموت ، لأسباب غير معروفة أيضا [١] .

ويعرف وهب فى المصادر بأنه ثقة ، ويقال إنه روى عن ابن عباس وجابر وأبى هريرة وغيرهم ؛ ولكن لم يُقبل الرواة على الأخذ عنه إلا فى النادر ، بخلاف غيره من تابعى المدينة ؛ وقد نقل البخارى حديثا يرويه وهب عن أخيه همام عن أبى هريرة ، ولكن قلما يوجد هذا الإسناد فى الروايات الكثيرة المنسوبة لوهب فى المواضع الأخرى من التراث العربى [٢] .

ويختلف وهب عن المدنيين فيما يلى : أنه يُعْنَى عناية خاصة بأحاديث أهل الكتاب ؛ وقبل أن ندخل فى موضوع مغازى وهب ، يجب أن نلقى نظرة على الكتابات الأخرى المنسوبة له ، والتى تُعنى خاصة بتاريخ أهل الكتاب ، أو تاريخ وطنه (اليمن) . وتُؤَيِّد [٣] معرفة وهب الدقيقة بأحاديث أهل الكتاب بالروايات القائلة ، إنه قرأ ٧٠ ، أو ٧٢ ، أو ٧٣ ، أو ٩٢ من كتبهم المقدسة ، وإذا كانت مثل هذه الدعاوى لا تستحق التصديق ، كما تبين قوائم الكتب المقدسة المشار إليها ، فإننا جدُّ موقنين أن وهبا عرف ماتحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدسة ، عن طريق صلاته باليمنيين من أهل الكتاب ؛ الذين كثر عديدهم فى جنوب بلاد العرب ، ويوافق كثير من أقوال

---

(١) الذهبى ٤٤٢ ؛ ابن حجر ١١ : ١٦٨ . لمعرفة عام وفاة وهب انظر : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ، وابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٢) باستثناء الطبرى ١ : ٤١٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٩٦ ؛ لدزبرسكى ٤٤ وما بعدها .

وهب مافى المصادر اليهودية والمسيحية تمام الموافقة وتخالفها فى بعض الأحيان . وتشمل أخباره جميع ميدان « أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بنى إسرائيل » كما يقول ابن سعد [١] ، وقد نمت وكثرت بما زاد فيها تلاميذه ، الذين كان من بينهم بعض أعضاء أسرته ، وجدير منهم بالذكر حفيده عبد المنعم ، لحفظه المادة التى جمعها وهب ، و« كتاب المبتدأ » لوهب ، الذى استغله الثعلبى فى كتابه « عرائس المجالس » من رواية عبد المنعم عن وهب ، وهو ينسب إليه على أنه مؤلفه [٢] . وأما العنوان « المبتدأ » فيشير إلى مبتدأ الخلق [٣] ؛ ولكن الرسالة لا تصور تاريخ أصل الجنس البشرى طبقا لأخبار أهل الكتاب فحسب ، بل قصص الأنبياء أيضا ، أى تاريخ الرسالات القديمة .

ويُعتبر وهب من الثقات المعتمدين فى قصص الأنبياء خاصة ، ولكنه تناول كذلك تاريخ العُباد ، أى الأولياء الذين لم يصلوا إلى مرتبة النبوة ، كما يقول ابن سعد ، وحين يَنسُب حاجى خليفة [٤] إلى وهب أيضا رسالة فى قصص الأخيار ، فإننا قد نظن أن هؤلاء الأخيار هم عُباد ابن سعد .

وينسب حاجى خليفة لوهب أيضا « كتاب الإسرائيليات » ويظهر

---

(١) ابن سعد ٧ : ٩٧ .

(٢) الفهرست ٩٤ .

(٣) انظر ابن قتيبة : المعارف ٤ حيث يذكر « مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء » على أنه « الفن » الأول من « فنون المعارف » .

(٤) رقم ٩٤٣٦ .

أنه لم يكن يُعرف بذلك الاسم فى العهود القديمة . فلا يقول ياقوت [١] مثلا عنه إلا أن وهبا « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات » فهو يستعمل الكلمة ليصف مصادر وهب الإسرائيلية . ومن المحتمل أن الرسالة التى أعطاها حاجى خليفة هذا الاسم هى « كتاب المبتدأ » ، وأنها لم تشتهر بالإسرائيليات إلا فى زمن متأخر . وعلى كل حال ، نجد عند المؤلفين المتأخرين مجموعة من الأخبار من رسالة لوهب تسمى « الإسرائيليات » . لكن لما كان يعزى إليه كثير من الروايات غير الصحيحة ، فإننا لسنا كبيرى الثقة بهذه الأقوال ، على أنها غير كافية لإعادة تكوين « إسرائيليات » وهب المشار إليها – إن كان قد كتب حقيقة كتابا بذلك الاسم – كما حاول شوفان V.Chauvin [٢] أن يفعل . ومن المؤكد أن وهبا لم يقتبس فى « مبتدئه » من الأخبار اليهودية وحدها ، بل اقتبس من المسيحية كذلك ، كما تدل الروايات الكثيرة عند ابن قتيبة ، والطبرى ، والمسعودى ؛ والثعلبى وغيرهم . بل الحق إن الأخبار المنسوبة له فى مثل هذه الكتب القديمة ، كثيرا مايعارض بعضها بعضا . ومن الواضح أن أخباره لابد أن يكون عرض لها منذ عهد مبكر كثير من أنواع التحريف والتغيير فى النسخ المختلفة ، ومن المحقق أن العلماء لم يبحثوا بعدُ جميع أنواع القصص المشكوك فى أصلها مما ينسب إليه . وقد استخرج ابن قتيبة بعض الخلاف بين بعض أخبار وهب وسِفْر التكوين الأصليّ ، ولكنا نرى فيما رواه ابن هشام بأية دقة يأخذ وهب النص من الكتاب

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ .

(٢) فى « النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة » ٥٧ .

المقدس . وتفسير مثل ذلك الاختلاف أنه إما أن تكون الأخبار التى جمعها وهب قد غيرها أولئك الذين نشروها فيما بعد ، وجعلوها على نمط أخبار القُصّاص الشَّعبيين ، وإما أن وهبا نفسه أجرى مثل هذا التغيير .

وتناول وهب فى رسالة خاصة (١) « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك » ، وهو التاريخ القديم الخرافى لوطنه اليمن ، ولم تصل إلينا هذه الرسالة ، ولكن من الواضح أن ابن هشام استعار منها مقدمة كتابه « كتاب التيجان » الذى لم يطبع حتى اليوم (٢) . ويتبع وهب ، فى كتابته التى استغلها ابن هشام ، مصادر أهل الكتاب تماما فى عرض تاريخ أصل الرجل ، ولا يذكر أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقا للنص العبرى الأصلى فحسب ، بل يلاحظ أيضا تحريفات الترجمة السريانية .

ويبدو أن « فتوح » وهب ، التى يذكرها حاجّى خليفة (٣) ، غير معروفة عند غيره من المؤرخين .

ومن وجهة أخرى يذكر ابن سعد (٤) « حكمة » وهب وعَرَف

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ .

(٢) لدزبرسكى ٨ ومابعدها .

طبع هذا الكتاب فى حيدر آباد ، وأشرف عليه جماعة من العلماء ، وكانوا يستشيرون المستشرق كرنكو ، الذى كتب عنه مقالا كبيرا فى مجلة « الثقافة الإسلامية » التى تصدر فى حيدر آباد باللغة الإنجليزية ، فى عام ١٩٢٨ ثم طبعه مركز الدراسات والأبحاث اليمنية فى صنعاء فى ١٣٤٧ هـ - ح .

(٣) رقم ٨٩٣٢ .

(٤) ابن سعد ٧ : ٩٧ ، حيث يقال عن حفيد وهب إنه كان قارئا لكتب وهب وحكمته .

الوراق الأندلسى أبو بكر بن خير [١] (توفى سنة ٥٧٥ هـ) نسخة من ذلك الكتاب الذى يرتفع إسناده إلى عقيل ابن أخى وهب ، وقد أخذه عن عمه . ويحتوى هذا الكتاب على أقوال حكمية ، ويماثله فى معناه رسالة « الموعظة » [٢] أيضا ، التى يذكرها نفس الوراق الأندلسى ؛ وينسب أبو بكر محمد بن خير لوهب أيضا ترجمة للزبور « زبور داود – ص – ترجمة وهب بن منبه » . ولإكمال الموضوع نذكر « كتاب القَدَر » أيضا ، الذى يقال إن وهبًا ألفه كما ذكر ياقوت [٣] .

وتبعد جميع كتابات وهب التى ذكرناها حتى الآن عن المغازى ، التى نناقشها فى هذا المقال ، ولكننا إذا فهمنا لَفظة المغازى بمعناها العام ، كما ينبغى ، طبقا لاستعمال اللغة فى الأيام الأولى من الإسلام ، وتوسعنا فيها لتشمل حياة النبى جميعها ، فإن كتابات وهب هذه تدخل فى نطاق بحثنا ، لأنها مَدخل إلى سيرة النبى ، كما ترتبط بالرسالات قبل محمد . ويقول حاجّى خليفة [٤] عن وهب إنه جمع المغازى ؛ ولكن وهبًا لا يُذكر فى كتب السيرة القديمة مع رواة سيرة النبى ، ومع ذلك فقول حاجّى خليفة صحيح ، فقد وجد بيكر C. h. Becker بين مجموعة أوراق بَردى شُتْ رَيْنَهارْدت Shott-Reinhardt المحفوظة الآن فى هيدلبرج ، مجلدًا يرجّح أنه يحوى قطعة من « كتاب المغازى » هذا . وتاريخ نسخ هذه القطعة عام ٢٢٨هـ ؛ فهى ليست بعد وفاة وهب بأكثر من مئة عام ؛ وتبدأ

---

(١) المكتبة الأندلسية ٦ : ١٢٩ . (٢) نفس المرجع ٢٩٤ .
(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ . ابن حجر ١١ : ١٦٨ .
(٤) رقم ١٤٦٤ .

بالعبارة : «أخبرنا محمد بن أبى بكر أبو طلحة ، ثنا عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبى إلياس ، عن وهب » . ويتكرر هذا الإسناد ، الذى ينسب مافى المجلد إلى وهب ، فى أثناء النص فى غالب الأحيان . ولكن وهبًا لايصرح أبدا بأسماء من روى عنهم أخباره . ولذلك تؤيد قطعة هيدلبرج هذه ماعرفناه آنفا من الطبرى وغيره .

وقد عرفنا من قبل أن حفيد وهب عبد المنعم [١] روى كتابات جده ، عن أبيه إدريس ، ولكن إدريس لم يرو الأخبار عن وهب مباشرة ، وإنما عن طريق أبى إلياس [٢] ، الذى روى « موعظة » وهب أيضا [٣] ، كما يقول أبو بكر محمد بن خير . وتبين لنا قطعة هيدلبرج أن وهبا لم يتناول المغازى بالمعنى الخاص ، فهى تحتوى على تاريخ العقبة الكبرى ، وحديث قريش فى دار النَّدوة ، والاستعداد للهجرة ، والهجرة نفسها ، ووصول النبى إلى المدينة ، وغزوة بنى خيثمة. وإذا كنا قلما نجد فى قطعة هيدلبرج شيئا جديدا لم نجده فى كتب السيرة والمغازى التى وصلت إلينا كاملة ، فإنها تهمنا لأسباب ، منها أنها تؤيد مايقال من أن سيرة النبى كانت تُروى فى عام ١٠٠ هـ ، أو قبل ذلك بقليل ، كما فى الكتب المتأخرة بالضبط ، وأن وهبا لا يذكر رواته ، وإن كان

---

(١) ورق بردى شت رينهاردت ٨ .

(٢) لم أستطع أن أجد شيئا فى « كتب الرجال » عن أبى إلياس هذا . ولكن أبا إلياس كنية ربيب وهب ، إدريس بن سنان ، وهى تذكر فى بردية هيد لبرج عامة كما يلى : عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبى إلياس . ح : ترجمة أبى إلياس والد عبد المنعم فى تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ١٩٤ . وظاهر أن عبارة بردية هيد لبرج محرفة بزيادة « عن » الثانية .

(٣) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٩٤ .

يلتزمهم ؛ وأنه يقطع القصة النثرية بإدخال قصائد ينسبها للمشتركين فى الحوادث أو لمعاصريهم ، كما كانت عادة قُصَّاص العرب منذ قديم الزمن .

* * *

الفصل الثانى

شيوخ ابن إسحاق

عبد الله بن أبى بكر بن حزم

فى الجيل التالى للتابعين ، بين العدد الكبير من علماء الحديث ثلاثة رجال يستحقون أن نذكرهم ، وننوّه بهم فى هذا الموضع ، لأنهم وجهوا عنايتهم الخاصة إلى المغازى ، وهم : عبد الله بن أبى بكر بن محمد ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، ومحمد بن مسلم الزهرى ؛ وهؤلاء الثلاثة جميعهم من أكبر شيوخ ابن إسحاق ، وجميعهم من أتباع مدرسة المدينة .

ولد عبد الله بن أبى بكر من أسرة مَدَنية ، خدم أجدادها الإسلام فى عهد النبى خدمات كبيرة . فقد أرسل النبى جد عبد الله الأكبر إلى اليمن [١] ، وعهد إليه فى تعليم أهلها وتفقيههم فى الدين ، وبقى هناك واليا للنبى على نجران [٢] .

---

(١) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله - ﷺ - قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

(٢) الطبرى : ١ : ١٨٥٢ : وكان فيمن بعث النبى - ﷺ - مغ عمال اليمن فى سنة ١٠ بعد ما حج حجة التمام ، وقد مات باذام ، فلذلك فرق عملها بين شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمدانى ، وعبد الله بن قيس أبى قيس الأشعرى ، وخالد بن سعيد ابن العاص ، والطاهر بن أبى هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن حزم ... ويقول الطبرى أيضا ١ : ١٩٨٢ : توفى رسول الله ... وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم .

وتُوفى جد عبد الله ، محمد بن عمرو ، فى يوم الحَرة [١] (٦٣هـ) حين هزم الأمويون أهل المدينة . ووقف مروان بن الحكم ، الذى صار الخليفة فيما بعد ، عليه حين رآه مطروحا فى الميدان فى ذلك اليوم ، فقال : « رحمك الله ، فَرُبَّ سارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة إلى جنبها ! » . ثم كان أبوه أبو بكر قاضيا فى المدينة من عام ٨٦ هـ ، العام الذى تولى فيه عمر بن عبد العزيز المدينة [٢] ، واشتهر بتبحره فى الفقه [٣] الذى أخذه عن أبان بن عثمان [٤] . وقلده الخليفة سليمان فى عام ٩٦ هـ ، ولاية المدينة [٥] إلى جانب القضاء ، تلك الولاية التى لم يتقلدها قبله أحد من أهل المدينة فى عصر الأمويين [٦] . ولكنه احتفظ بها طول عهد عمر الثانى [٧] ، وعزله عنها يزيد

---

(١) الطبرى ٢ : ٤١٧ .

(٢) الطبرى ٢ : ١١٩١ : وكان على قضاء المدينة فى هذه السنة (يعنى سنة ٨٧) أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبد العزيز . ويقول الطبرى ٢ : ١٢٥٨ : عثمان [بن حيان] قدم المدينة أميرا عليها سنة ٩٣ ... فاستقضى أبا بكر بن حزم .

(٣) الذهبى (ت . فيشر : تراجم ٩٠) وقال ابن وهب عن مالك : لم يكن أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ماكان عند أبى بكر بن حزم . وانظر أيضا ابن حجر ١٢ : ٣٩ .

(٤) الذهبى ٩٠ : وقال عبد الله بن أبى بكر بن حزم إن أباه كان يتعلم القضاء من أبان بن عثمان .

(٥) الذهبى ٨٩ : ولى القضاء والإمرة والموسم على المدينة لسليمان ولعمر بن عبد العزيز . وانظر أيضا الطبرى ٢ : ١٢٨٢ ، ١٣٠٥ .

(٦) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : ولم يكن بالمدينة أنصارى أمير غير أبى بكر بن حزم ، وكان قاضيا .

(٧) الطبرى ٢ : ١٣٤٦ : وحج بالناس فى هذه السنة (يعنى سنة ٩٩) أبو بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة ... ويقول أيضا فى ١٣٥٨ : وحج بالناس فى هذه السنة (يعنى سنة ١٠٠) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

الثانى [١] ؛ ولكنه بقى قاضيا مدة طويلة فى عهد الوالى الجديد [٢] ، الذى لم يكن على علاقات طيبة معه ، والذى ضربه ذات مرة [٣] . وتقلد أبو بكر فيما بعد ، فى عام ١١٨ هـ ، ولاية المدينة مرة أخرى لبضعة أيام [٤] . وتوفى عام ١٢٠ هـ ، أو قبل ذلك ببضعة أعوام [٥] . وتسلم أبو بكر ، الذى لاحظ حب ابنه لدراسة الحديث ونصحه بمقارنة عجز كل حديث بصدره [٦] ، تسلم من عمر الثانى الرسالة التالية : « انظر ماكان من حديث رسول الله - ﷺ - ، أو سُنَّة ماضية ، أو حديث عَمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه ، فإنى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » . وكانت عمرة المذكورة هنا تعرف الأحاديث ، وخاصة التى روتها عائشة زوج النبى [٧] عن طريق اتصالها بها ، وكان

---

(١) الطبرى ٢ : ١٣٧٣ : عن أبى بكر بن حزم أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلنى ، دخلت عليه ... الخ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٣٧٣ : فلم يزل الأمر يترقى بينهما حتى خاصم إليه رجل من بنى فهر وآخر من بنى النجار ، وكان أبو بكر قضى للنجارى .

(٣) الطبرى ٢ : ١٤٥٢ : قال الزهرى : فلم يأخذ بشئ من ذلك ، وعادى الأنصار طرا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل .

(٤) الطبرى ٢ : ١٥٩٢ : ذكر الواقدى أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته على المدينة ، فصعد المنبر ، وصلى بالناس ستة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة .

(٥) الذهبى ٩١ : قال الهيثم بن عدى ويحيى بن بكير وأبو مثنى : مات سنة سبع عشرة ومئة . وقال الواقدى وابن سعد وجماعة : مات سنة عشرين ومئة .

(٦) الذهبى ٩١ : وكان يقول لابنه عبد الله : إنى أراك تحب الحديث وتجالس أهله ، فلا تستقبل صدر حديث [إلا] إذا سمعت عجزه ، استدل بأعجازها على صدورها .

(٧) ابن سعد ٢ : ١٣٤ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم « أن انظر ما كان من حديث رسول الله - ﷺ - أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه ، فإنى قد خفت دروس العلم ، وذهاب =

لأبى بكر فرصة طيبة للأخذ عنها ، بسبب أنه ابن أخيها [١] . ومع ذلك لم توجد هذه المدونات التى كتبت بأمر عمر الثانى ، حتى فى الجيل التالى [٢] . وتقلد أحد أبناء أبى بكر ، المسمى محمد بن أبى بكر ، الذى توفى عام ١٣٢ ، القضاء فى المدينة [٣] كأبيه .

أما ابنه الآخر ، عبد الله بن أبى بكر – الذى قدمنا من أجله كل هذه الأخبار عن أقاربه – فقد ابتعد عن الأعمال الرسمية ويخبرنا الزهرى (الذى يقول عنه إنه ليس له مثيل فى المدينة كلها) أن المكان الذى وصل إليه أبوه هو الذى يمنعه أن يرتفع ذكره ، مادام أبوه حيا [٤] . ولم يعش عبد الله بعد أبيه إلا نحو عشرة أعوام إلى خمسة عشر ، وتوفى عام ١٣٠ أو ١٣٥ هـ [٥] ويتجلى التعارض الذى وُجد بين

= أهله » ، ويقول ابن حجر ١٢ : ٣٩ : عن ابن وهب عن مالك ، وكان .. ولاّه عمر ابن عبد العزيز ، وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ...

(١) ابن حجر ١٢ : ٤٣٨ : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية ، كانت فى حجر عائشة ، روت عن عائشة ، وأختها لأمها أم هشام بنت حارثة ابن النعمان ، وحبيبة بنت سهل ... الخ .

(٢) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : فسألت ابنه عبد الله بن أبى بكر عن تلك الكتب فقال : ضاعت .

(٣) الطبرى ٣ : ٢٥٠٥ : ومحمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضيا بالمدينة ... يقضى فى المسجد ... توفى سنة ١٣٢ فى أول دولة بنى العباس ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

(٤) ابن حجر ٥ : ١٦٥ : عن مالك أخبرنى ابن عنزابة قال : قال لى ابن شهاب : من بالمدينة ؟ (يعنى فأجابه) فقال ابن شهاب : ما ثم مثل عبد الله بن أبى بكر ، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حى .

(٥) نفس المرجع : توفى سنة خمس وثلاثين ومئة ، ويقال : سنة ثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

ممارسة القضاء ، الذى يُعْنَى بما يجمع عليه أهل المدينة من عمل ، وبين مطالب الحديث ، يتجلى هذا التعارض فى حديث دار بين عبد الله وأخيه محمد القاضى [١] . « فكان إذا قضى بالقضاء مخالفا للحديث ، ورجع إلى منزله ، قال له أخوه عبد الله بن أبى بكر – وكان رجلا صالحا – « أى أخى ، قضيت اليوم فى كذا وكذا بكذا وكذا » .

فيقول له محمد : « نعم ، أى أخى » ، فيقول له عبد الله : « فأين الحديث ، أى أخى ، عز الحديث أن يقضى به ؟! » فيقول محمد : « أيهات ، فأين العمل ؟ » يعنى ماأجمع عليه من العمل بالمدينة ، والعمل المجتمع عندهم أقوى من الحديث » .

ونستطيع من مقتبسات ابن إسحاق والواقدى وابن سعد والطبرى أن نصور نشاط عبد الله بين رواة الحديث إلى حدٍّ ما ، فيما يختص بالمغازى . ونعرف من الفهرست [٢] أن ابن أخى عبد الله ، واسمه عبد الملك بن محمد القاضى المذكور آنفا ، والذى كان قاضيا أيضا وتوفى عام ١٧٦ هـ ، قد ألف « كتاب المغازى » ؛ ومن المحتمل أن هذا الكتاب الذى يبدو أنه لم يبق له أى أثر ، كان يتألف من المجموعة التى أخذها عن عمه ، كما يروى أحد إخوة عبد الملك هذا ، واسمه عبد الرحمن ، الأخبار عن عمه [٣] كثيرا عند الواقدى . ولم تقتصر

---

(١) الطبرى ٣ : ٢٥٠٥ .

(٢) الفهرست ٢٢٦ : عبد الملك بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى ، وتوفى سنة ست وسبعين ومئة ببغداد ، وكان قاضيا بها لهارون . وله من الكتب : كتاب المغازى . ويقول ابن سعد ٧ ق ٢ : ٦٨ عنه : وكان قليل الحديث .

(٣) أخطأ فهرست ولهوزن وسماه عبد الرحمن بن أبى بكر بدلا من عبد الرحمن ابن محمد بن أبى بكر .

أقوال عبد الله على المغازى بالمعنى الخاصّ للكلمة : فقد عنى أيضا بشباب النبى وأعوامه الأولى ، ولكن اسمه يظهر فى غالب الأحيان فى أخبار الغزوات ، ووجه عنايته أيضا إلى « الوفود » : (وفود القبائل العربية على النبى) ، وروى أخبارا عن ردة القبائل العربية بعد وفاة النبى ، وعن حوادث خاصة فى العقد التالى ، عن الأيام الأخيرة للخليفة عثمان مثلا (١) . وكان بيت أسرة عبد الله بجوار البيت الذى لقى فيه الخليفة حتفه (٢) ، وكان جده الأكبر يعرف الحوادث التى أدت إلى مقتل الخليفة (٣) . ويذكر عبد الله كثيرا من أخباره دون ذكر للرواة ، وفى أحوال أخرى يذكر أسماءهم ؛ فلم يكن يرى الإسناد واجبا بعد . وينتهى طَرَف من أخباره إلى عمرة خالته الكبرى ، أخذها عنها مشافهة ، وعن طريق زوجه فاطمة ، التى أخذتها مباشرة عن عمرة (٤) .

ويجدر بنا أن نذكر الطريقة التى حصل بها ابن إسحاق ، وهو تلميذ لعبد الله ، على أحد هذه الأحاديث من عمرة ، لنلقى الضوء على اختلاط النساء بالرجال فى تلك الأيام .

---

(١) الطبرى ١ : ٣٠٦٠ : قال محمد : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، قال : جاء المؤذن إلى عثمان فآذنه بالصلاة ، فقال : لا أنزل أصلى ، اذهب إلى من يصلى ... الخ .

(٢) الطبرى ١ : ٣٠٠٥ : فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره ، وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان .

(٣) الطبرى ١ : ٢٩٨٩ : وخرج عمرو بن حزم الأنصارى حتى أتى المصريين ، وهم بذى خشب ، فأخبرهم الخبر ، وسار معهم حتى قدموا المدينة ... إلخ . وانظر أيضا الطبرى ١ : ٣٠٠١ ، ٣٠٢١ .

(٤) ابن هشام ٤ : ٣١٤ : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة .

يَروى ابن إسحاق (١) أنه عند مادخل على عبد الله أمر الأخير زوجه فقال : « حدثى محمدا ماسمعت من عَمرة بنت عبد الرحمن » ، وعندئذ روت أقوالها . أضف إلى ذلك ، أنه حدث أحيانا ، أن عبد الله لم يجب تلميذه عن بعض الأسئلة التى وجهها إليه . فلم يذكر له اسم المدنيين اللذين عصيا أوامر النبى فى أثناء نزول عسكره بجوار الحجر ، فنالهما العقاب ، وإن كان أطلق سراحهما فى نهاية الأمـر . يقول ابن إسحاق : « حـــدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد ســمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى » (٢) .

ولم يقنع عبد الله بجمع الأخبار التى وصل إليها ، فحاول أيضا فى هذا الزمن المبكر ، أن يبتكر الترتيب السنوى للحوادث (٣) ، فجمع قائمة بغزوات النبى مرتبة ترتيبا سنويا ، استعاره ابن إسحاق لكتابه (٤) . وعُنِى إلى جانب أخبار رواته بالمدوّنات ، مثل الرسالة التى كتبها النبى

---

(١) الطبرى ١ : ١٨٣٧ . ولكن ابن هشام لا يقول إلا : وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث .

(٢) ابن هشام ٤ : ١٦٥ . .

(٣) ابن جرير الطبرى ٣ : ٢٤٣١ : عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال : توفيت زينب ابنة رسول الله - ﷺ - فى أول سنة ٨ . ويقول نفس المرجع ٢٤٤٧ : عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : كان الذى زوجها وخطب إليه النجاشى خالد بن سعيد بن العاص وذلك سنة ٧ من الهجرة .

(٤) الطبرى ١ : ١٧٥٦ : عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر قال : كان جميع ماغزا رسول الله - ﷺ - بنفسه ستا وعشرين غزوة ، أول غزوة غزاها ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ... الخ . انظر أيضا الطبرى ١ : ١٧٥٨ حدثنى =

إلى ملوك حِمْير [١] ، والوثيقة الأخرى التى أعطاها النبى جَدَّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه ، حين بعثه إلى أهالى نجران ليفقههم فى الدين [٢] . ويدخل عبد الله فى الحوادث الأشعار على أفواه أولئك الذين كان لهم أثر ظاهر فيها [٣] ، كما فعل سابقوه ، الذين تناولناهم آنفا . وتوجد أمثلة هذا فى الأخبار الخاصة بالمغازى وفى أخبار الحوادث بعد وفاة النبى [٤] . وكانت أسرة عبد الله محبة للشعر ، ولدينا فى « كتاب الأغانى » خبر عن تحدى أحد أبناء أبى بكر بن محمد (لا يمكن أن نقطع أكان عبد الله نفسه أم أحد إخوته) للفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التى كان يعجب بها [٥] .

« قال اليربوعى : قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقاص

= محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر قال : كانت سرايا رسول الله - ﷺ - وبعوثه فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمسا وثلاثين بعثا وسرية .

(١) الطبرى ١ : ١٧١٧ : حدثنى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر قال : قدم على رسول الله - ﷺ - كتاب ملوك حمير ... فكتب إليهم رسول الله - ﷺ - : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى رسول الله إلى الحارث بن عبد الكلال ... إلخ .

(٢) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله - ﷺ - قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا ، عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه أمره : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله ... إلخ .

(٣) ابن هشام ٣ : ١٠٨ .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٣ ، ١٨ ؛ الطبرى ١٧٣٢ ، ١٧٣٤ . ولا يذكر عبد الله فى الفقرات المقابلة لها عند ابن هشام ٤ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ . وانظر أيضا الطبرى ١٩٠٥ ، ٢٣٥٤ .

(٥) النقائض ، بيفان ٥٤٦ . وانظر أيضا الأغانى ٨ : ١٩٣ ، ١٩ : ٣٨ .

الزُّهْرى : قدم الفرزدق فى إمارة أبان بن عثمان (٧٥ - ٨٢ هـ) قال : فإنى والفرزدق وكُثَيِّر لجلوس فى المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شَخْت - أى دقيق - فى ثوبين مُمَصَّرين - أى مصبوغين بصفرة غير شديدة - . ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت - مخافة أن يكون من قريش [مثل إبراهيم نفسه] : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومن أنت ياغلام ، لا أم لك ؟ قال : رجل من بنى الأنصار ، ثم من بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر بن حزم ، بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك ، وقد قال حسان ابن ثابت [شاعر النبى المدنى] شعرا ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، وإلا فأنت كذَّاب مُنْتَحِل . ثم أنشده قول حسان :

لنا الجَفَنات الغُرُّ يلمعن بالضحى	وأسيافنا يقطرن من نَجْدة دما
متى ماتزرنا من معدّ بعصبة	وغسان نمنع حوضنا أن يهدما
أبى فعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا	وقائلُنا بالعرف إلا تكلما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق	فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فأنشده القصيدة كلها إلى آخرها ، وقال له : إنى قد أجلتك فيها حولا ، ثم انصرف ، وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه ، مايدرى أى طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كُثَيِّر علىَّ ، فقال : قاتل الله الأنصارى ، ماأفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! قال : فلم نزل فى حديث الفرزدق والأنصارىّ بقية يومنا ، حتى إذا كان الغد خرجت من منزلى إلى مجلسى الذى كنت فيه بالأمس ،

وأتانى كُثير فجلس معى . فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعرى ما فعل ؟ إذ طلع علينا فى حلة أفواف يمانية موشاة ، له غديرتان ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس . ثم قال : مافعل الأنصارىّ ؟ قال : فنلنا منه [الأنصارى المذكور] وشتمناه [ووقعنا فيه ، نريد بذلك أن نطيب نفس الفرزدق] فقال : قاتله الله ما رُميت بمثله [حسان] ولا سمعت بمثل شعره . [ثم قال لهما الفرزدق : إنى] فارقتكما [بالأمس] فأتيت منزلى فأقبلت أُصعِّد وأصوب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مفحم ، أو لم أقل قطّ شعرا ، حتى نادى المنادى بالفجر ، فرحلت ناقتى ، ثم أخذت بزمامها ، فقدتها حتى أتيت ذبابا [وهو جبل بالمدينة] ثم ناديت بأعلى صوتى [للجنى الذى يلهم الفرزدق قصائده] : [أجيبوا] أخاكم أبا لبينى . فجاش صدرى كما يجيش المرجل ، ثم عقلت ناقتى ، وتوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مئة وثلاثة عشر بيتا . فبينا هو ينشدنا إذ طلع علينا الأنصارىّ ، حتى انتهى إلينا فسلم ، ثم قال : أما إنى لم آتك لأُعجلك عن الأجل الذى وقته لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت . فقال : اجلس . ثم أنشده :

عزفتَ بأعشاش وماكدت تعزِف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصارىّ كئيبا . فلما توارى طلع أبوه ، وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فى مشيخة من الأنصار ، فسلموا علينا ، وقالوا : ياأبا فِراس [كنية الفرزدق] إنك قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله – ﷺ – ، ووصيته بنا ، وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرض لك ، فنسألك بالله [وبحق المصطفى محمد – ﷺ –] لَمَّا حفظت فينا وصية النبى – ﷺ – ، ووهبتنا له ، ولم تفضحنا [بالهجاء] . قال [اليربوعى ، قال] إبراهيم بن محمد بن سعد : فأقبلت

أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه ، قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشىّ » . (يعنى إبراهيم بن محمد بن سعد) .

وتحدث القصة فى شباب عبد الله أو أحد إخوته ، وترينا للمرة الثانية مبلغ عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه ونقده .

عاصم بن عُمر

وُلد عاصم بن عمر بن قتادة من أسرة مدنية أيضا ، كانت من السابقين إلى الإسلام . وكان جده قَتادة ، من بنى ظَفَر ، أحد الأنصار الذين حاربوا فى بدر مع النبى [١] ؛ وكان حامل لواء قبيلته فى حُنَين [٢] . ولم تخبرنا المراجع كثيرا عن عُمَر والد عاصم [٣] ، غير أنه تلقى الحديث عن أبيه ، ورَوَّاه ابنه عاصما . ومن الواضح أنه بخلاف أبى عبد الله بن أبى بكر ، لم يُعن بالشئون الخاصة بحياة المدينة ، ولم يتقلد أى عمل رسمى فيها ، ولم ينج ابنه من المتاعب الاقتصادية التى اضطرته إلى الرحيل إلى قاعدة الخلافة ، يبحث عن المساعدة فى بلاط الخليفة ، مثل كثير غيره من أهل بلده إذا نابتهم الأَزَمات والشدائد . وقد نجح فى الحصول على تلك المساعدة من خليفة ذلك الوقت ، عمر ابن عبد العزيز الذى تفرد فى الخلفاء الأمويين بحب رؤية صالحى أهل

---

(١) ابن هشام ٢ : ٣٤٣ : ومن بنى ظفر ، ثم من بنى سواد بن كعب ، وكعب : هو ظفر ... قتادة بن النعمان .

(٢) الواقدى : ت . ولهوزن ٣٥٨ .

(٣) ابن حجر ٧ : ٤٨٩ : عمر بن قتادة بن نعمان الظفرى الأنصارى المدنى — روى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن على بن الحسين ، روى عنه ابنه عاصم .

المدينة . ويخبرنا ابن سعد [١] أن عاصما « وفد على عمر بن عبد العزيز فقضى دينه ، وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق . فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة » . واستحسن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، الذى اهتم اهتماما كبيرا بجمع الحديث وتدوينه كما رأينا ، أن يعلم جمهرة أهل دمشق بنفس الطريقة على فقيه متبحر . أضف إلى ذلك أن معرفة عاصم فى السيرة والمغازى كانت مشهورة [٢] وهو يعدّ من الرواة الثقات [٣] . ولا نقبل أنه شوّه تاريخ النبى إرضاء للأمويين ؛ كما نرفض أن عمر الثانى رغب فى ذلك . وقد تولى الخليفة عمر الحكم من عام ٩٩ إلى ١٠١ هـ ، ورجع عاصم إلى بلدته فى عام ١٠١ على آخر الأقوال ؛ وهناك كان يشرح معارفه أمام سامعيه مُدّة تقرب من العشرين عامًا ، وتوفى عام ١١٩ هـ ، أو بعد ذلك بقليل [٤] .

وعاصم أحد رُواة ابن إسحاق والواقدىّ ، وهما متفردان فى المغازى بالمعنى الخاص ، ولكنه عُنى أيضا بتفاصيل قصة شباب النبى

---

(١) يبدو أن ترجمة عاصم ساقطة من المخطوطة التى وصلت إلينا من ابن سعد ، ولكن اقتبسها الذهبى (نشر فيشر) ٢٢ ، وابن حجر ٥ : ٥٣ ، والمزى (انظر سخاو ، دراسات) ١٤ . وقال ابن سعد : كان راوية للعلم ، وله علم بالمغازى والسيرة ، أمره عمر ابن عبد العزيز أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ففعل . يقول الذهبى ٢٢ : وفد على عمر بن عبد العزيز فقضى دينه وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : هو صاحب السير والمغازى .

(٣) الذهبى ٢٢ : وثقه ابن معين وجماعة .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : توفى سنة عشرين ومئة .

والفترة المكية عامة ، كما تُبين مقتبسات ابن سعد خاصة . وهو يصرح غالبا بأسانيده ، ولكنه كان كذلك يحذف السند كثيرا . فمسلكه نحو الإسناد شبيه بمسلك عبد الله بن أبى بكر . وهو يُدخل فى الأخبار التى يرويها أشعار أصحابها الأساسيين من وقت لآخر [١] ؛ ويتضح من الفقرة التى ذكرها ابن إسحاق أنه لم يكن يجمع الأخبار فحسب ، بل كان يعبر من حين لآخر عن رأيه الخاص فى الدوافع التى تدفع لارتكاب الحوادث . يقول ابن إسحاق [٢] : « وأما عاصم بن عمر فقال : والله ، ما قال ذلك العباس » – أعنى توثيق حِلف الأنصار على طاعة النبى ، مع أنهم كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم وأموالهم فى سبيل هذه الطاعة – « إلا ليشُد العَقْد لرسول الله – ﷺ – فى أعناقهم » . ويعبر عبد الله بن أبى بكر أيضا عن رأيه ورأى عاصم المعارض له فى موقف العباس هذا بطريقة تستحق الذكر .

الزُّهْرِىّ

ظهر عبد الله وعاصم كلاهما من دائرة الأنصار . أما محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، فظهر من قبيلة مكية ، هى بنو زُهرة ، كما يَبين من لقبه . وقد وُلد عام ٥٠ أو ٥١ ، وتقول

(١) انظر ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٨٩ : وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ماقال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله – ﷺ – فى أعناقهم . وأما عبد الله بن أبى بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم .

روايات أخرى فى عام ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٨ [١] ، وحارب جدُّ أبيه عبد الله بن شهاب مع المكيين فى بدر [٢] ، وتآمر مع ثلاثة من المكيين على قتل النبى فى أُحد [٣] ، وقد نجح فعلا فى جرحه [٤] . ومن الطبيعى أن هذا السلوك كان مؤلما للحفيد الذى لا يقول شيئا عن عمل جده فى الصفحات التى يتكلم فيها عن هجوم المتآمرين على النبى [٥] ، وكان أبو الزهرىّ إلى جانب عبد الله بن الزبير فى أثناء رفعه لواء الثورة [٦] ؛ ولكن الزهرى نفسه وفد على مروان [٧] فى أثناء خلافته عام ٦٤ هـ وهو غلام محتلم ، كما يقول عن نفسه ، ثم وفـد على عبد الملك

---

(١) الذهبى ٧٣ : قال المزى : قال أحمد بن صالح المصرى : يقولون : مولده سنة خمسين ، وقال خليفة : ولد سنة إحدى وخمسين ، وقال ابن بكير : سنة ست وخمسين ، وقال الواقدى : سنة ثمان وخمسين .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٩ : وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا .

(٣) نفس المرجع : وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد : لئن رأوا رسول الله – ﷺ – ليقتلنه أو ليقتلن دونه . وهم : عبد الله بن شهاب ، وأبى بن خلف ، وابن قميئة ، وعتبة بن أبى وقاص . وانظر أيضا الواقدى (ولهوزن) ١١٦ ، ابن سعد ج ٤ ، ق ١ : ٩٢ .

(٤) ابن هشام ٣ : ٨٤ : قال ابن هشام : وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله – ﷺ – يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته .

(٥) ابن هشام ٣ : ٨٥ ، الطبرى ١ : ١٤٠٧ .

(٦) ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير .

(٧) ابن حجر ٩ : ٤٥١ : وروى عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال : وفدت إلى مروان وأنا محتلم .

ابن مروان ، ثم استقر فى دمشق ، ولكنه كان يذهب كثيرا إلى بلدته المدينة . وقد حدث له حادث ، فى موضع مّا قبل هجرته إلى دمشق ، يرويه لنا ابن سعد [١] : « أصاب الزُّهرىُّ دما خطأ ، فخرج وترك أهله وضرب فُسطاطا ، وقال : « لا يظلنى سقيف بيت » . فمر به علىّ بن حسين ، فقال : « يابن شهاب ، قنوطُك أشد من ذنبك ، فاتق الله واستغفره ، وابعث إلى أهله بالدية ، وارجع إلى أهلك » . فكان الزهرىّ يقول : « على بن حسين أعظم الناس علىّ منّة » .

وإذا كان اليعقوبى [٢] المؤرخ الشيعى مصيبا ، فإن الزهرى يكون قد وضع نفسه وهو صغير فى خدمة الخليفة عبد الملك ضد عبد الله بن الزبير ، فعند ماحاول عبد الملك مثلا أن يجعل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى مكة - فعل هذا حين كان الخليفة الثائر عائذا بمكة - يقال إنه أجاب عن الذين شكوا من حَظْر الحج إلى مكة بقوله : « هذا ابن شهاب الزهرىّ يحدثكم أن رسول الله - ﷺ - قال : لاتُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام (بمكة) ، ومسجدى (بالمدينة) ، ومسجد بيت المقدس (بأورشليم) » .

والحق إننا نجد حديثا بهذا المعنى - مع عدة تغييرات - فى الكتب الستة الصحيحة جميعها ، وفى مسند أحمد بن حنبل ، وغالبًا مايكون إسناده : الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، ولكنهم فى كثير من الأحيان أيضا لا يذكرون الزهرى . وليس من المحتمل أن يُعنى

---

(١) ٥ : ١٥٨ .

(٢) تحقيق هوتسما Houtsma ٢ : ٣١١ : وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ؟! فقال لهم عبد الملك : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس .

عبد الملك بذكر الزهرىّ ليسبغ الثقة على هذا الحديث إلا إذا عنى أيضا بذكر رواة الزهرىّ ، لأنه إذا كان الخليفة تفوه به حقا ، فلابد أن ذلك كان بين عامى ٦٥ و ٧٣ هـ ، فى أثناء ثورة عبد الله ؛ ومن المحتمل فى عام ٧٢ هـ ، ذلك العام الذى بنى فيه عبد الملك قبة الصخرة فى بيت المقدس ، كما يبين النقش الذى لا زال موجودا ؛ ولكن الزهرى كان فى الثالثة والعشرين فى عام ٧٣ ، وربما كان أصغر بكثير ، وليس من الممكن أن يكون لاسمه كعالم بالحديث من الفضل ، مايجعل عبد الملك يؤمل فائدة خاصة من ذكره « وحده » . فإذا كان خبر اليعقوبى يستحق أى تصديق ، فإننا يجب أن نأخذه على أن الزهرى اندفع إلى عبد الملك من المدينة ، ليبلغه حديثا سمعه من الرواة فى المدينة ، ويرجو أنه سيساعد الخليفة فى أغراضه السياسية . ولا نصدّق أنه اخترعه بنفسه ، كما يقول بعضهم ، إذ لم يكن من الصعب على الناس فى دمشق أن يتحققوا من معرفة علماء المدينة المعروفين بالحديث ، ومن الشاقّ أن يهمل أىُّ إنسان له شكوكه ، فى البحث عنه . ومهما ذهب ظن المرء فى صحة الحديث ، فإنه لايوجد مايدعو إلى الشك فى أن الزهرى سمعه فعلا من فم سعيد بن المسيب ، الذى يقولون لنا عنه مرارا – وكان مشهورا بتفسير الأحلام [1] – إنه فسر حلما خاصا مرسلا إليه بسوء طالع الخليفة الثائر ، وحسن طالع عبد الملك .

---

(١) البلاذرى : الأنساب ، نشر آلورد Ahlwardt ١٥٩ : المدائنى عن إبراهيم بن سعد أن عبد الملك رأى فى منامه كأن امرأته المخزومية قلعت رأسه ، ثم قطعت منه عشرين قطعة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن الرؤيا ، فقال : تلد منه ولدا يملك عشرين سنة . وفى نفس المرجع ٢٣٣ : المدائنى قال : رأى عبد الملك كأنه بال فى الكعبة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن ذلك .

روى عمر بن حبيب بن قُلَيع [١] : « كنت جالسا عند سعيد بن المسيب يوما ، وقد ضاقت عليّ الأشياء ، ورَهَقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيب ، ماأدرى أين أذهب ؟ . فجاءه رجل فقال : ياأبا محمد (كنية سعيد) ، إنى رأيت رؤيا . قال : ماهى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته ، فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال : ماأنت رأيتها ! قال : بلى ، أنا رأيتها . قال : لأخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها ، وهو بعثنى إليك . قال : لئن صدقتْ رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب ، فسره ؛ وسألنى عن سعيد وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى ، وأصبت منه خيرا » .

وفعل الزهرىّ أيضا مافعل عمر هذا - إذا صدقنا قول اليعقوبى - حين حمل حديثا سمعه من فم سعيد إلى الخليفة مؤملا نواله . وعلى كل حال لم يُقم الزهرى طويلا فى دمشق ، إن كان قد ذهب إليها على الإطلاق . وقد تمت هجرته الدائمة إلى هناك فيما بعد ، « زمن تحرك ابن الأشعث » ، (أى عام ٨١ أو ٨٢ هـ) [٢] ، كما يقول هو نفسه [٣] . وذهب فى أول الأمر إلى قَبِيصة ، الذى كان على خاتَم

---

(١) ابن سعد ٥ : ٩١ . ويسمى الراوى حبيب بن منيع فى أنساب البلاذرى ٢٣٣ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٠٥٢ : وفى هذه السنة (يعنى سنة ٨١) خالف عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث الحجاج ، ومن معه من جند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه ، فى قول أبى مخنف ، وروايته لذلك عن أبى المخارق الراسبى . وأما الواقدى فإنه زعم أن ذلك كان فى سنة ٨٢ .

(٣) البخارى : تاريخ ٩٣ : قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث .

عبد الملك [١] ، وكان الخليفة على صِلات طيبة به منذ كان واليا على المدينة [٢] . فأدخله قبيصة إلى عبد الملك [٣] ، إذ سنحت له الفرصة حين سأل الخليفة : من منكم يحفظ القضاء فى أمهات الأولاد ؟ فذُكر الزهرى واستُدعى للخليفة ، فسأله عن نسبه ، وأبدى ملاحظة عن اشتراك والد الزهرى فى ثورة عبد الله بن الزبير ، ثم أمره بالجلوس ، وقضى دينه [٤] . وقد ذهب إلى دمشق فى الخلاص من ضيق حاله [٥] ، مثل كثيرين قبله .

وتقول رواية أخرى إن الخليفة سأل سعيدا عن الزهرى فى بداية الأمر ، عن طريق عامله على المدينة [٦] . ولا تتفق كل هذه الأخبار مع خبر اليعقوبى الذى يُستنتج منه أن عبد الملك كان يعرف الزهرىّ غير شك منذ وقت طويل ، ولم يكن الزهرى يحتاج إلى تقديم خاص

---

(١) ابن سعد ٧ ق ٢ : ١٥٧ : قبيصة بن ذؤيب ... روى عنه الزهرى ، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان .

(٢) البلاذرى : الأنساب ٢٥٧ : قال (يعنى قبيصة بن ذؤيب) : كنا فى خلافة معاوية فى آخرها نجتمع فى حلقة فى المسجد بالليل : أنا ، ومصعب بن الزبير ... وعبد الملك بن مروان .

(٣) ابن سعد ٧ : ١٥٧ : هو أدخل الزهرى على عبد الملك . انظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ٢٢٨ .

(٤) الذهبى ٧٠ : فجالس قبيصة بن ذؤيب ، فأرسل عبد الملك إلى الحلقة : من منكم يحفظ القضاء فى أمهات الأولاد ؟ قلت : أنا . فأدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : إن كان أبوك لنعارا فى الفتن . اجلس . فسأله مسائل ، وقضى دينه .

(٥) الذهبى نفس الموضع : ضاقت حال الزهرى فخرج إلى الشام .

(٦) البخارى : تاريخ ٩٣ قال : من أنت ؟ قلت محمد بن مسلم بن عبيد الله . ثم كتب إلى هشام بن إسماعيل : أن ابعث إلى سعيد بن المسيب ، فسله .

للخليفة ولا إلى مدح من سعيد . وربما لا يستند خبر اليعقوبى إلا إلى أن الناس كانوا يذكرون الزهريَّ فيما بعد بأنه المحدث المشهور الوحيد ، الذى كان وثيق الصلة بعبد الملك ، وأنهم أخطئوا فأرّخوا تلك الصلة قبل حدوثها بعشر سنوات . ومن اليسير أن يحدث هذا ، لأن اسمه يجىء فى إسناد الحديث الذى نناقشه ، كما قد رأينا .

وأقام الزهريُّ فى دمشق ، فى عهد الخلفاء بعد عبد الملك ، وأجرَوا عليه راتبا معينا [١] ، فهو يخبرنا [٢] أنه قدم على الوليد بن عبد الملك يخطب إليه ابنة عمه مالك بن شهاب . ويبدو أن القُصَّاص فخموا هذه الحادثة ، لأنه وُجد كتاب يسمى « كتاب الزهرى وابنة عمه الذين ساروا إلى هشام بن عبد الملك » [٣] ، كما نعرف من الفهرست [٤] . ويحدث استبدال الوليد بأخيه هشام فى موضع آخر ، كما سنرى فى الحال . وأفتى الزهريُّ فى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ) فى بعض المسائل الفقهية [٥] . وقال أكثر من واحد [٦] : إن خليفة عمر ، يزيد الثانى عيَّنه قاضيا . ولكن يزيد الثانى توقع من الزهرى نوعا

---

(١) ابن سعد ٧ : ١٥٧ . وابن قتيبة أيضا ٢٢٨ : ووصله . ففرض له ، وصار من أصحابه .

(٢) البخارى : تاريخ ١٠٤ : قال : سمعت الزهرى قال : قدمت على الوليد بن عبد الملك أخطب إليه ابنة عمى ؛ ابنة مالك بن شهاب ، فتعشينا ، ثم خرجنا .. الخ .

(٣) كذا عنوان الكتاب فى الفهرست ، وهو تحريف وصحته : « كتاب الزهرى وابنة عمه اللذين سارا إلى هشام بن عبد الملك » ح .

(٤) الفهرست ٣٠٧ .

(٥) ابن عبد الحكم ، تحقيق تورى Torrey ١٠٤ : ثم خصم فيها الأصبغ إليه ، وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خارجة بالدار .

(٦) الذهبى ٧٢ : جعل يزيد بن عبد الملك بن شهاب قاضيا . ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان يزيد بن عبد الملك استقضاه .

من المعرفة مغايرا لما يحتاج إليه القاضى فى أداء واجباته . إذ رجع إليه ذات مرة حين رغب فى الاستفسار عن مؤلف إحدى القصائد ؛ ولم تذهب استشارته هذه سُدى [١] .

« فبينا يزيد [بن عبد الملك] وجاريته حَبَّابة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص ، قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا ، وعينيك ، ماأدرى . قال : وقد كان ذهب من الليل شطره ، فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهرى ، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك . فأُتى الزهرى ، فقُرع عليه بابه . فخرج مروَّعا إلى يزيد . فلما صعد إليه ، قال له يزيد : لاتُرَع ، لم ندعُك إلا لخير . اجلس . من يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد (الشاعر المدنى ، الذى نفاه الخليفة سليمان إلى دَهْلَك) ياأمير المؤمنين . قال : مافعل ؟ قال : قد طال حبسه بدَهْلَك . قال : قد عجبت لعمر كيف أغفله . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربع مئة دينار . فأقبل الزهرىُّ من ليلته إلى قومه من الأنصار ، فبشرهم بذلك » .

وكما ساهم الزهرىّ هنا فى إطلاق سراح أحد المدنيين بحث فى المناسبات الأخرى عن مصالح جمهور بلدته . فنصح والىَ الحجاز الذى عينه يزيد عام ١٠١ هـ قبل سفره إلى مقر وظيفته نصيحة غالية ، لم يتبعها الوالى الجديد من أجل مصلحته الخاصة [٢] .

---

(١) الأغانى ٤ : ٤٩ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٤٥٢ : قال محمد بن عمر : حدثنى إبراهيم بن عبد الله بن أبى فروة ، عن الزهرى ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومك ، وهم ينكرون كل شئ خالف فعلهم ، فالزم ماأجمعوا عليه ... قال الزهرى : فلم يأخذ بشئ من ذلك ، وعادى الأنصار طرا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل ، فما بقى منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلا عابه ، وأتاه بالقبيح .

واشتهر الزهريّ بكرمه ، فتغنى فائد بن أشرم بمدائحه في قصيدة [١] ، وقال قُرة بن عبد الرحمن يصف الزهريَّ [٢] : « مارأيت أحدا ، الدينار والدرهم أهون عليه منه ، كأنها عنده بمنزلة البعر » . فليس من الغريب إذن أن يَغْرق على الدوام في الديون التي قضاها عنه الخليفة الجديد هشام [٣] (١٠٥ - ١٢٥) وكان الزهرى يساعده في تثقيف أولاده [٤] ، وكان الخليفة يقربه في مجتمعه تقريبه لأبي الزناد . « وحضر الزهريُّ يوما مجلس هشام بن عبد الملك ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، فقال له هشام : أيُّ شهر كان يَخْرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهرى : لا أدرى . فسأل أبا الزناد ، فقال : في المحرم . فقال هشام للزهريّ : ياأبا بكر ، هذا علم استفدته اليوم . فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يُستفاد منه العلم » [٥] .

ولم تكن المقابلات بين الخليفة وفقيه القصر العلامة (كذلك كان يُسَمَّى الزهرى) ، تجرى دائما بهذا اللطف . فلدينا خبر عن الشافـعي [٦] ، عن عمه يقول : « دخل سليمان بن يسار على هشام

---

(١) الذهبي ٧١ :

ذَرْ ذَا وَأَثْنِ عَلَى الْكَرِيم مُحمَّدٍ ... وَاذْكُرْ فَوَاضِلَهُ عَلَى الأَصْحَابِ
وَإِذَا يُقَالُ مَنِ الْجَوَادُ بِمَالِهِ ... قِيلَ الْجَوَادُ مُحمَّدُ بنُ شِهَابِ
أَهْلُ المَدَائِنِ يَعْرِفُونَ مكانَهُ ... وَرَفِيعَ نَادِيهِ عَلَى الأَعْرَابِ

(٢) الذهبي ٦٨ .

(٣) نفس المرجع ٧٠ : قال سعيد بن عبد العزيز : أدى هشام عن الزهرى سبعة آلاف دينار دينا .

(٤) نفس المرجع ٧٠ : وكان يؤدب ولده .

(٥) ابن خلكان ١ : ٥٧١ .

(٦) الذهبي ٧٢ .

فقال : مَن الذى تولى كِبْرَه منهم ؟ (يعنى حديث الإفك : السورة ٢٤، الآية ١١) قال : عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول . فقال : كذبت ، هو علىّ . يابن شهاب ، من هو ؟ قال : عبد الله بن أُبَىّ . فقال : كذبت ، هو علىّ . قال : أنا أكذب ، لا أبالك ، فوالله لو نادانى مناد من السماء : أن الله أحل الكذب ، ما كذبت . حدثنى سعيد بن المسيب ، وعُروة ، وعُبيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : أن الذى تولى كبره عبد الله بن أبىّ . قال : فلم يزل القوم يُغْرون به ، فقال له هشام : ارحل ، فوالله ماينبغى لنا أن نحمل عن مثلك . قال : ولم ! أنا اغتصبتك على نفسى أو أنت اغتصبتنى ؟ فخلّ عنى . قال : لا ، ولكنك استدنت ألف ألف . فقال : قد علمتَ ، وأبوك قبلك ، أنى مااستدنت هذا المال عليك ولا على أبيك . فقال هشام : إنا إن نهيج الشيخ ، وذكر كلمة ، فأمر ، فقضى عنه ألف ألف . فأُخبر بذلك ، فقال : الحمد لله الذى هذا هو من عنده » . وتقول روايات أخرى [١] إنه لم يكن هشاما ، وإنما هو الوليد الذى حاول دون جدوى أن يُغْرى الزهريَّ بتحويل ذنب ابن أبىّ إلى علىّ .

ويَروِى أبو الزناد [٢] حديثا آخر للزهرىّ مع هشام : « دخلت على هشام بن عبد الملك ، وعنده الزهرىّ ، وهما يعيبان الوليد ، فأعرضت ولم أدخل فى شئ من ذكره ، فلم ألبث أن استؤذن للوليد ، فأذن له ، فدخل وهو مُغضَب ، فجلس قليلا ، ثم نهض . فلما مات هشام وولى

---

(١) البخارى : مغازى : عن الزهرى قال : قال لى الوليد بن عبد الملك : أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة . وانظر أيضا الفقرات المقابلة لذلك فى فتح البارى ٧ : ٣٣٦ ، و « فيك » : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٤ .

(٢) الأغانى ٦ : ١٠٦ .

الوليد ، كتب إلى المدينة ، فحُمِلت ، فدخلت عليه ، فقال : أتذكر قول الأحول [أى هشام] ، والزهرى ؟ قلت : نعم ، وما عرضت فى شئ من أمرك . قال : صدقت . أتدرى من أبلغنى ذلك ؟ قلت : لا . قال : الخادم الواقف على رأسه ، وايم الله ، لو بقى الفاسق الزهرىُّ لقتلته » . ولكن الزهرى أيضا كان جِدَّ عارف بما ينتظره لو تولى الوليد الحكم ، وعزم على الفرار داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية [١] عندما يُتَوفى هشام . ولكنه لم يعش حتى ارتقاء الوليد الثانى الخلافة (١٢٥هـ) . فقد توفى فى السابعَ عَشَرَ من رمضان ١٢٤ هـ [٢] ، ودفن فى « شَغْب » فى الحجاز ، فى الأرض التى وهبها له الأمويون [٣] .

وكان الزهرىُّ يتردد كثيرا إلى الحجاز [٤] ، حتى بعد هجرته إلى دمشق . وقد شغل بالحج [٥] فى عام ١١٩ هـ .

---

(١) نفس المرجع : حدثنى ... مصعب عن أبى الزناد قال : أجمع الزهرى على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولى الوليد بن يزيد ، فمات الزهرى قبل ذلك .

(٢) الذهبى ٧٤ : قال ضمرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين ، وهذا وهم . وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين . وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع فى سابع عشر رمضان بشغب فى أمواله . وشذ ابن يونس الصدفى فقال : فى رمضان سنة خمس وعشرين ومئة . والصحيح سنة أربع .

(٣) ابن قتيبة ٢٣٩ : دفن بماله على قارعة الطريق ، ليمرّ مارّ فيدعو له ، والموضع الذى دفن به آخر عمل الحجاز ، وأول عمل فلسطين ، وبه ضيعته . وانظر أيضا « فيك » : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٩ .

(٤) الذهبى ٧٠ : وفد الزهرى على عبد الملك ، واستوطن الشام ، وكان يتردد إلى الحجاز ، ويحج .

(٥) الطبرى ٢ : ١٦٣٥ : وحج بالناس فى هذه السنة (يعنى سنة ١١٩ هـ) =

ولكنَّ أهم من كل ذلك أنه قضى أعوام دراسته فى المدينة ، ووضع أساس ذلك العلم الذى أكسبه فيما بعد هذا النفوذَ العظيم فى عاصمة الخلافة . ويخبرنا الزهرىّ بنفسه [١] عن دراسته أنساب قومه فى بداية أمره على عبد الله بن ثعلبة ، ثم اتصاله بسعيد بن المسيب حين أشار أستاذه على رجل سأله عن بعض أحكام الطلاق بالرجوع إلى سعيد . « وكان لسعيد عند الناس قدر كبير عظيم لخصال : ورع يابس ، ونزاهة ، وكلام بحق عند السلطان وغيرهم ، ومجانبة السلطان ، وعلم لا يشاركه علم أحد ، ورأى بعدُ صليب ... مااستطعت أن أواجهه بمسألة حتى أقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فيجيب حينئذ » . ويقول كذلك فى خبر آخر [٢] : « وكنا نجالس ابن المسيب لا نسأله حتى يأتى إنسان فيسأله ، فيهيجه ذلك ، فيحدِّث ، أويبتدئ هو فيحدث » . ووجه ثعلبة بن أبى مالك أيضا الزهرىّ إلى سعيد فجالسه « عشر سنين كيوم واحد » [٣] .

= أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهرى فى هذه السنة .

(١) ابن سعد ٢ : ١٣١ : « كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، أتعلم منه نسب قومى ، فأتاه رجل جاهل يسأله عن المطلقة واحدة ثنتين ، ثم تزوجها رجل ودخل بها ثم طلقها ، على كم ترجع إلى زوجها الأول ؟ قال : لا أدرى ، اذهب إلى ذلك الرجل . وأشار له إلى سعيد بن المسيب ، قال . فقلت فى نفسى : هذا أقدم من سعيد بدهر ، أخبرنى أنه عقل رسول الله - ﷺ - مج على وجهه ، فقمت ، فاتبعت السائل حتى سأل سعيد بن المسيب ، فلزمت سعيدا ، فكان هو الغالب على علم المدينة ، والمستفتى ... وكان لسعيد بن المسيب عند الناس قدر كبير ... » .

(٢) الذهبى ٦٩ .

(٣) ابن سعد ٢ : ١٣١ : كنت أجالس ثعلبة بن أبى مالك قال ، فقال لى =

ويَعُد الزهرى مع سعيد ثلاثة رجال آخرين على أنهم « بحور قريش الأربعة » وهم : عُروة ، وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة [١] ؛ ويوازن بين مادة العلم التى أخذها عن عروة الذى يصفه بأنه « بحر لا يُنْزَف » [٢] وبين المادة التى حصلها من عبيد الله [٣] فيقول : « ما جالستُ أحدًا من العلماء إلا وأرى أنى قد أتيت على ماعنده ، وقد كنت اختلفت إلى عروة حتى ماكنت أسمع منه إلا مُعادا ، ماخلا عبيد الله بن عتبة ، فإنه لم آته إلا وجدت عنده علما طريفا » . وكان الزهريُّ يخدم عبيد الله أحيانا قال [٤] : « كنت أستقى لعبيد الله بن عبد الله ، فيقول لجاريته : مَن بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش » . وخاطب عبيدُ الله ، الذى كان شاعرا كما عرفنا (فيما سبق) – حتى وصفه ابن عبد البر بأنه أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء – خاطب عبيدُ الله الزهرى ببعض الأشعار المروية فى كتاب الأغانى [٥] .

= يوما : تريد هذا ؟ قال ، قلت : نعم . قال : عليك بسعيد بن المسيب . قال : فجالسته عشر سنين كيوم واحد .

(١) نفس المرجع : عن معمر قال : سمعت الزهرى يقول : أدركت من قريش أربعة بحور : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٢) نفس المرجع ١٣٤ : حدثنى أبو يوسف الماجشون : أنه سمع ابن شهاب يقول : كنت إذا حدثنى عروة ، ثم حدثتنى عمرة ، يصدق عندى حديث عروة ، فلما تبحرتهما إذا عروة بحر لا ينزف .

(٣) ابن حجر ٧ : ٢٣ .

(٤) الذهبى ٧١ .

(٥) الأغانى ٨ : ٩٥ . قال عبيد الله لابن شهاب الزهرى : =

ويصف عِرَاك بن مالك الزهريَّ بأنه أعلم أهل المدينة ، لأنه جمع علم عروة وسعيد وعبيد الله . والأحكام المماثلة كثيرة ، ولم يُعب عليه غير صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين . يقول مكحول (١) : « أيُّ رجل الزهريُّ ، لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك ! » . وكان الزهريُّ نفسه يفخر ، حين يعارض صمت أحد تلاميذه ، باستعداده الخاص لنشر معارفه (٢) ، فيقول : « مانشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بذله بذلى » .

واشتهر أيضا بسعة معارفه (٣) . يقول الليث : « مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه ، لو سمعته يحدث فى الترغيب لقلت : لايحسن إلا هذا ، وإن حدَّث عن الأنساب لقلت : لايعرف إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا » .

وقد أجاب سعد (٤) عن سؤال ابنه إبراهيم بن سعد : بم فاقكم ابن شهاب ؟ قال : « كان يأتى المجالس من صدورها ، ولا يأتيها من خلفها ، ولا يُبقى فى المجلس شابا إلا ساءله ، ولا كهلا إلا ساءله ، ثم يأتى الدار من دور الأنصار ، فلا يبقى فيها شابا ولا كهلا ولا عجوزا

= إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ لَمْ يُثْنَ مَنْطِقى ... فحَاذِرْ إذا ما قُلتُ كيفَ أَقُولُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلقى خَلِيلًا مصافيا ... لقيتَ ، وإِخْوَانُ الثِّقَاتِ قَلِيلُ

(١) ابن حجر ٩ : ٤٤٨ : وقال الليث عن جعفر بن ربيعة ، قلت لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة ، وعبيد الله بن عبد الله . قال عراك : وأعلمهم عندى جميعا ابن شهاب ؛ لأنه جمع علمهم إلى علمه .

(٢) الذهبى ٦٩ .

(٣) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

(٤) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

ولا كهلة إلا ساءلهم ، حتى يحاول ربات الحجال » . أما ابن سعد [١] فيروى الجواب مختلفا عن ذلك بعض الاختلاف ، فيقول : « إنا ماسبَقَنا ابن شهاب بشئ من العلم ، إلا أنا كنا نأتى المجلس فيستنتل ويشد ثوبه عند صدره ، ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة » [٢] . وقد ساعد شغفَه الذى لا يفتر بجمع الأخبار ذاكرةٌ قوية ، حاول أن يقويها باستعمال العسل [٣] . « وكان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقول : اسقونا وحادثونا » . ويُرْوَى [٤] أن هشاما أراد أن يختبر ذاكرته ذات مرة ؛ فسأله أن يملى شيئا على بعض ولده ، فدعا بكاتب ، وأملى عليه أربع مئة حديث . وحين لقى هشام الزهرىَّ ثانية ، بعد مضى بعض الوقت ، وقال له : « إن ذلك الكتاب قد ضاع » أجابه الزهرىّ : لا عليك . فدعا بكاتب وأملى الأحاديث ؛ وحين قابلها هشام بالكتاب الأول وجده لم يغادر حرفا .

ولم يكن من المألوف ، حتى بين التابعين ، أن يدون جامعو الحديث الأخبار التى جمعوها لأنفسهم كما قد رأينا . ويَرْوى أبو الزناد [٥] ، زميلُ الزهرى فى الدراسة ، ورفيقه فى بلاط هشام عنه : « كنت أطوف أنا والزهرى ومعه ألواح وصحف ، فكنا نضحك به ، وكان يكتب كل ماسمع » .

ويقول محمد بن عكرمة [٦] : « كان ابن شهاب يختلف إلى

---

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى اللسان مادة « نتل » : « وفى حديث سعد بن إبراهيم : ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشئ إلا [أنا] كنا نأتى المجلس فيستنتل ويشد ثوبه على صدره ، أى يتقدم » . ح .

(٣) الذهبى ٧٠ .

(٤) نفس المرجع ٦٩ .

(٥) نفس المرجع ٦٧ .

(٦) نفس المرجع .

الأعرج – وكان الأعرج يكتب المصاحف – فيسأله عن الحديث ، ثم يكتبه ، ثم يحفظه . فإذا حفظ الحديث مزق الرقعة » . ويروى صالح ابن كيسان أيضا [١] : « كنت أطلب العلم أنا والزهريُّ فقال : « تعال نكتب السنن . قال : فكتبنا ماجاء عن النبى – ﷺ – . ثم قال : تعال نكتب ماجاء عن الصحابة . قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضُيعتُ » .

والأمر فى جميع هذه الروايات أمر ملاحظات مدونة للاستعمال الخاص . أما جعل هذه الملاحظات فى متناول الجمهور فكان أمرا جديدا [٢] . وربما كان عمر بن عبد العزيز أول من حث العلماء على مثل هذا العمل . فقد رأينا آنفا أنه أمر عبد الله بن أبى بكر بذلك العمل ، وتقول بعض الروايات الأخرى إن الزهريَّ تلقى منه أمرا مماثلا [٣] . وعلى كل حال ، يُحَمِّلُ الزهرى ، فى عبارة رواها معمر « هؤلاء الأمراءَ » مسئولية خروجه عن عادته القديمة فى الصمت ، قال : « كنا نكره كتاب العلم حتى أُكْرِهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا يُمنعَه أحد من المسلمين » [٤] . لقد رأينا هشاما يأمره بإملاء الحديث على كاتب ، ونستطيع أن نستنتج أنه كان فى بداية الامر يتحرج من إملاء

---

(١) نفس المرجع .

(٢) كان ماأراده عبد الملك من عروة أخبارا مدونة عن مجرى بعض الحوادث ، لا تبليغ الأحاديث الخاصة بها . وربما كان هذا سبب عدم ذكر عروة الأسانيد .

(٣) انظر جولد تسيهر : دراسات إسلامية ٢ : ٢١٠ .

(٤) ابن سعد ٢ : ١٣٥ . والذهبى ٧١ : فرأيت ألا أمنعه مسلما . وانظر أيضا جولد تسيهر : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ .

الحديث أو إباحة كتابة محاضراته ، من الجواب المتهرّب [١] الذى أعطاه الليث حين سأله : « ياأبا بكر (كنية الزهرى) ، لو وضعت للناس هذه الكتب ، ودونت فتفرغت ! » فكان جواب الزهرى : « ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى » يريد أن يقول : « يستطيع كل إنسان أن يسمع الأحاديث التى جمعتها ، ولكنى لا أستطيع أن أعزم على تدوينها ونشرها بين الناس ، كما تريد » . ومن المحتمل أن هذا التصريح يرجع إلى فترة متقدمة على التصريح المذكور آنفا ، وأنه يعنى : « مادمنا مضطرين إلى جعل كتبنا فى متناول الأمراء ، فلا يوجد إذن مايدعو إلى منعها عن الآخرين » . ومع ذلك فقد أبعد الزهرى فى هذا الاتجاه حتى عِيبَ عليه [٢] ، لسماحه بانتقال مجلد يحوى أحاديث مروية عنه ، أُعْطِى إليه ليُجِيزه ، فسمح بانتقاله إلى الأجيال القادمة ، دون أن يلقى النظر فيه بادئ بدء . وتقول إحدى الروايات : إن إبراهيم بن الوليد الذى حصل على هذه الإجازة ، ولا يمكن أن تعنى هذه الرواية إبراهيم الذى صار خليفة فيما بعد ، كما بين جولد تسيهر كل التبيين [٣] .

ومهما كان الأمر ، فإنه كان من الممكن بهذه الطريقة ، إخراج أخبار لم يسمع بها الزهرى أبدا ، وإن كانت تحمل اسمه ؛ ولكننا لا نقبل أنه وضع أحاديث ليؤيد بها دعاوى الأمويين .

ونعرف من قول لمعمر تلميذ الزهرىّ ، أنه وجدت فى مكتبة

(١) الذهبى ٦٨ .

(٢) نفس المرجع ٦٩ : وقال أنس بن عياض ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : كنت أرى الزهرى يعطى الكِتاب ، فلا يقرؤه ولا يقرأ عليه ، فيقال له : نروى هذا عنك ؟ فيقول : نعم .

(٣) جولد تسيهر : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ ، الملاحظة ٢ .

الأمويين بدمشق أكوام من المجلدات التى احتوت على المادة العلمية التى جمعها الزهرى . وهاك نص قوله [١] : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول (معمر) : من علم الزهرى » . وتشير العبارة إلى مابعد مقتل الوليد الثانى عام ١٢٦ هـ . ونحن نعرف أن الوليد خصم للزهرى ، ولكنه لم يوجد مايدعوه إلى القضاء على الملاحظات التى كتبها أو أملاها الزهرى بأمر من أسلافه . وليس لقول امرأة الزهرى إلا بعض الأهمية القصصية ، بالنسبة لقول معمر ، الذى يسمو إلى درجة الشاهد التاريخى ، إذ قالت : « لَهذه الكتب أشد علىّ من ثلاث ضرائر ! » وهو قول لا يوجد إلا فى المراجع المتأخرة [٢] ، أضف إلى ذلك أنه لا يقصد إلا مدوّناته لاستعماله الخاص ، لا مدوناته التى وهبها للجمهور أو لزواره الخاصين .

ويخبرنا [٣] الزهرى نفسه أنه كتب لجده « أسنان الخلفاء » وهى قائمة حولية ، وعى منها الطبرى اقتباسين [٤] . ويقول أيضا [٥] إنه بدأ

---

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٦ . وانظر أيضا الذهبى ٧١ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٥٧١ : وكان إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شئ من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوما : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر . وانظر أيضا أبا الفدا ١ : ٤٥٦ .

(٣) الطبرى ٢ : ٤٢٨ .

(٤) نفس الموضع : فكان فيما كتب من ذلك : ومات يزيد بن معاوية ، وهو ابن تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر ؛ نفس المرجع ١٢٦٩ : فقال الزهرى فى ذلك : ما حدثت عن ابن وهب ، عن يونس ، عنه : ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا .

(٥) الأغانى ١٩ : ٥٩ : قال المدائنى فى خبره : وأخبرنى ابن شهاب قال : قال =

كتابا عن القبائل العربية الشمالية ، بأمر من خالد بن عبد الله القسرى ، ولكنه لم يتمه . ومن الواضح أن قرة بن عبد الرحمن يعنى هذا الكتاب حين يقول : « لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب نسب قومه » . وأمر خالد الزهريَّ أيضا بكتابة السيرة له (١) .

وإذن ألف الزهرى ، إلى جانب مجموعات المادة المدونة لاستعماله الخاص ، كتبا بأمر من خالد أو من الأمويين . وكتب سيرة أيضا ، ولكن لم يصل إلينا كتاب مستقل له ؛ وإنما يوجد فى مجموعة الأحاديث (المسماة « الزهريات ») التى رواها وجمعها كتاب متأخرون ، عدد كبير من الفقرات التى استعارتها كتب مترجمى النبى والكُتّاب عن تاريخ الإسلام الأول . وقد تناول الزهرى ، كما تبين مقتبسات ابن سعد خاصة ، جميع حياة النبى ، لا المغازى بالمعنى الخاص وحدها . واستخدم الزهرى نفسه لفظ السيرة ليصف الكتاب (٢) الذى كتبه بأمر خالد (٣) .

ويصدِّر الزهرى عامة أحاديثه بالإسناد ولكنه يحذفه فى كثير من

= لى خالد بن عبد الله القسرى : اكتب لى النسب ، فبدأت بنسب مضر ، وما أتممته ، فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم .

(١) الأغانى ١٩ : ٥٩ : قال : واكتب لى السيرة ، فقلت له : فإنه يمر بى الشىء من سيرة على بن أبى طالب – صلوات الله عليه – فأذكره ، فقال : لا إلا أن تراه فى قعر الجحيم .

(٢) انظر « فيك » : محمد بن إسحاق ٢ ، الملاحظة ٢٤ .

(٣) يبدو أن الزهرى كانت له كتب أخرى لم يصل إليها الأستاذ هوروفتس ، إذ يقول شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » : وروى يونس بن يزيد مشاهد النبى – ﷺ – عن الزهرى – ح .

الأحيان أيضا . وحينما يجمع عدة روايات ، تختص جميعا بحادثة واحدة ، ينشئ من هذه الروايات المختلفة خبرًا جماعيًا ، يصدّره بأسماء الرواة مجتمعين [١] . ويدخل في أخباره في الغالب أشعار الممثلين في الحوادث الموصوفة . ورأينا آنفًا أنه كان ذواقًا للشعر ، ويروى حمّاد بن زيد أن الزهرى كان يقول ، بعد أن يروى الحديث : « هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم [٢] ، فإن الأذن مَجّاجة ، والنفس حَمْضة » .

* * *

---

(١) انظر ابن هشام ٣ : ٣٠٩ ، والطبرى ١ : ١٥١٨ ، ومسند أحمد ٢ : ١٩٤، والبخارى : صحيح ، حديث الإفك .

حدثنى الزهرى عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

(٢) الذهبى ٧٣ .

الفصل الثالث

تلاميذ الزهرى

موسى بن عُقْبة

ونعرف من تلاميذ الزهرى ثلاثة ألفوا فى المغازى ، وهم : موسى ابن عقبة ، ومعمر بن راشد ، ومحمد بن إسحاق ، والثلاثة جميعهم ليسوا من طبقة الأشراف المسلمين وإنما هم من الموالى .

فكان موسى بن عقبة بن أبى عياش مولى بنى الزبير بن العوام ، أو بالدقة مولى امرأة الزبير أم خالد [١] . وكان جده لأمه مولى لابن الزبير [٢] وقد ارتبطت أسرتاهما ارتباطًا وثيقًا ، ولا يعرف تاريخ مولده بالضبط ؛ وقد أجاب موسى عند ماسئل : هل رأى أحدًا من الصحابة [٣] ؟ فقال : « حججتُ وابن عمر بمكة ، عام حجّ نَجدة الحَرورى (أحد قواد الخوارج) » . وحفظ لنا الطبرى [٤] خبرا عن وجود نَجدة وأتباعه فى مكة ، قال : « وقفتْ فى سنة ٦٨ (أى فى خلافة عبد الله بن الزبير) أربعة ألوية : ابن الحنَفية فى أصحابه فى لواء ... ، وابن الزبير فى لواء ... ، ونجدة الحرورى خلفهما ، ولواء بنى أمية عن يسارهما » . ثم يضيف الطبرى : « كأنّ ابن عمر لم يدفع تلك العشية إلا بدفعة ابن الزبير » . وإذن لا يمكن الشك فى أن حج موسى

---

(١) ابن حجر : تهذيب ١٠ : ٣٦٠ ؛ الذهبى (ت : فيشر) ١ : ٤٣٧ .

(٢) ابن سعد ٥ : ٢٢١ .

(٣) ابن حجر ٣٦٢ .

(٤) ٢ : ٧٨٢ .

ابن عقبة كان فى عام ٦٨ هـ ؛ وإذن فهو لا يمكن أن يولد بعد عام ٥٥هـ بكثير . ويقول الواقدى [١] . « كان لإبراهيم وموسى ومحمد بنى عقبة حلقة فى مسجد رسول الله – ﷺ – ، وكانوا كلهم فقهاء ومحدثين ، وكان موسى يفتى » . ولا نجد شيئا آخر عن نشاطه فى الحياة العامة ، ويبدو أنه لم يتصل ببلاط الأمويين . وتوفى بعد سقوط تلك الأسرة بعشرة أعوام تقريبا ، أى فى عام ١٤١ هـ [٢] .

ويُعَد موسى من المتبحرين المتخصصين فى المغازى ، ويقول مالك ابن أنس [٣] : « عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة ... وفى رواية : فإنه رجل ثقة ، طلبها على كبر السن ولم يكثر كما كثر غيره » . وربما نستنبط من هذا القول أن كتاب عقبة كان أصغر حجما من الكتب الأخرى التى عالجت نفس الموضوع ، ومن المحتمل أن مالك بن أنس يهاجم بقوله هذا ابن إسحاق الذى كان يعيب « مغازيه » فى كثير من الأحيان ، كما نعرف . وقد حدث بمغازى عقبة ابنُ أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة [٤] الذى توفى عام ١٥٨ هـ ، واستخدمها ياقوت [٥] فى اختصاره لأبى نعيم . ولم يصل إلينا الكتاب ، أو بالدقة ، لا يعرف شئ عن وجوده . وقد أكد بعضهم لألُويْس شْبِرِ نْجَر Aloys Sprenger فى دمشق أنه توجد نسخة هناك ، ولكنه لم يستطع أن

---

(١) ابن حجر ٣٦٢ ؛ الذهبى ٤٣٨ .

(٢) ابن حجر : نفس الموضع ؛ الذهبى : نفس الموضع ؛ البخارى : تاريخ ١٦٦ .

(٣) ابن حجر ٣٦١ .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣١٠ ؛ سخاو : القطعة البرلينية من موسى بن عقبة (وصف أعمال الأكاديمية البروسية للعلوم عام ١٩٠٤) ٤٤٩ .

(٥) ت . وستنفلد ٤ : ١٠٠٨ ، انظر أيضا ٣ : ٨٧٢ .

يراها . ويبدو أن الديار بكرى ، مؤلف « تاريخ الخميس » الذى تم عام ٩٤٠ هـ ، استفاد من هذا الكتاب [١] . ومع ذلك لازلنا نمتلك قطعة واحدة منه تحتوى على حديث أو أكثر من كل جزء من أجزاء الكتاب العشرة ؛ وهى فى المكتبة البروسية الرسمية ، ونشرها إدورد سخاو بنصها العربى مع ترجمة ألمانية فى عام ١٩٠٤ . ويتضح من هذه القطعة ، كما كان يتوقع ، أن كتاب موسى لم يقتصر على المغازى بالمعنى الخاص ، وإنما شمل الهجرة على الأقل ؛ وأن الزهرى كان أكثر من روى عنه موسى ، كما يمكن استنتاجه من حكم ابن مَعين [٢] : « كتاب موسى بن عقبة عن الزهرى من أصح هذه الكتب » . ويجب ألا نصدق الادعاء الذى لا نعرف راويًا له [٣] ويقول بأن موسى لم يسمع أى حديث عن الزهرى ، أو لا نقبله على أية حال إلا على أن موسى لم يأخذ أخباره عن الزهرى مباشرة ، وإنما عن طريق أحد تلاميذه ، أو عن مدوناته . وغالبا مايقول موسى ، فى قطعة برلين ، فى المواضع التى يذكر فيها الزهرى : « قال ابن شهاب » أو « زعم ابن شهاب » وكلاهما يمكن أن يدل على مدونات الزهرى ؛ ولكنه يقول مرة واحدة على الأقل فى قطعة برلين هذه : « حدثنى الزهرى » .

وإلى جانب قطعة برلين ، نجد عدة مقتبسات من كتاب موسى عند ابن سعد ، الذى استخدم الكتاب من رواية إسماعيل ابن أخى موسى أيضا [٤] . ونستنتج من المقتبسات الكثيرة فى المجلدين الثالث والرابع من

---

(١) تاريخ الخميس ٢ : ٦٠ ، انظر أيضا ١ : ٥٣٩ .

(٢) ابن حجر ٣٦١ .

(٣) ابن حجر ٣٦٢ .

(٤) ابن سعد ٢ : ١ ، ٣ : ١ .

ابن سعد أن كتاب موسى كان يحتوى على قوائم المهاجرين إلى الحبشة ، والمشتركين في بيعتى العقبة ، وأهم من كل ذلك ، المحاربين فى بدر ؛ قوائم مثل التى أعدها شرحبيل بن سعد [١] (انظر الفصل الأول من هذا الكتاب) . ويقال إن مالكا قال عن هذه القوائم [٢] : « من كان فى كتاب موسى قد شهد بدرا فقد شهدها ، ومن لم يكن فيه فلم يشهدها » .

واستعار الواقدى أستاذ ابن سعد أحاديث مختلفة من كتاب موسى ؛ وهو لا يذكره فى « كتاب المغازى » إلا فى النادر [٣] ؛ ومن الحق أن ابن سعد أخذ كثيرا من أخبار موسى عن طريق الواقدى [٤] . وأخذ الطبرى أيضا عددا من أحاديث موسى فى كتابه ؛ وكثير منها يشير إلى عهد الخلفاء الراشدين ، بل عهد الأمويين أيضا [٥] إلى جانب إشارته إلى عهد النبى . ويروى « كتاب الأغانى » [٦] ملاحظة عن زيد ابن عمرو ، تبين أن موسى وجه عنايته إلى تاريخ ماقبل الإسلام .

وأول رواته ومقدَّمهم – ونظام الإسناد قاعدة عنده ، ولا يحذف الرواة فى المقتبسات المحفوظة عنه إلا فى القليل منها – جَدُّه لأمه ، أبو حبيبة الذى يروى له حوادث متأخرة وقعت فى عام ٩١ هـ [٧] .

---

(١) أثبتنا – فى الكلام عن شرحبيل – أنه لم يكتب قوائم مثل التى ينسبها إليه المؤلف – ح .

(٢) ابن حجر ٣٦١ .

(٣) انظر ترجمة ولهوزن ٨٠ ، ٣٤٤ ، ٤٠٣ .

(٤) ٣ : ٢٤١ ؛ ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩١ . أدين بهذه الأخبار وغيرها عن الرواة المذكورين عند ابن سعد لعطف الهر الدكتور جوتشلك Gottschalk الذى أعطانى إياها من فهرس مخطوطة ابن سعد .

(٥) ابن سعد ٥ : ٢٨٣ ؛ البلاذرى ، ت آلورد ٢٣٠ .

(٦) ٣ : ١٦ .

(٧) الطبرى ٢ : ١٢٣١ .

ولا يعرف يقينا من أسانيده قدر استعارته بعض الأخبار من مدونات الرواة المتقدمين إلا فى النادر ، وهو يصرح فى أحد المواضع [١] برجوعه إلى مدونة ابن عباس : « وضع عندنا كريب (مولى عبد الله ابن عباس المتوفى عام ٩٨ هـ) حـــمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس ، قال : فكان علىّ بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه : ابعث إلىّ بصحيفة كذا وكذا ، قال : فينسخها ، فيبعث إليه بإحداهما » . وكان تحت يد موسى أيضا الوثائق الأصلية ، إلى جانب هذه الصحف ممن قبله ، فهو يذكر رسالة وجهها النبى [٢] إلى المُنْذِر بن سَاوَى بالنص . ويحتوى كتاب موسى أيضا على حقائق مؤرخة تاريخا سنويا [٣] ، ويستشهد بالقصائد [٤] من وقت لآخر ، ولكن ذلك نادر .

مَعْمَر بن راشد

وكان مَعْمَر بن راشد ، المولود فى البصرة حوالى عام ٩٦ هـ [٥] ، مولى بنى حُدَّان [٦] من قبيلة الأزد . وسمع فى شبابه محدث البصرة المشهور قتادة بن دعامة (المتوفى عام ١١٤ هـ) [٧] . ثم أخذ فى التطواف طلبا للعلم [٨] . ويبدو أنه بدأ هذه الرحلات بعد وفاة الحسن

(١) ابن سعد ٥ : ٢١٦ .
(٢) البلاذرى ٣ : ت . دى غويه . ٨ .
(٣) تاريخ الخميس ١ : ٥٣٩ .
(٤) ابن سعد ٣ : ٢٤١ .
(٥) ابن حجر ٢٤٣ .
(٦) نفس المرجع .
(٧) البخارى : تاريخ ١٧٨ ؛ ابن سعد ٧ ق ٢ : ٢ ؛ النووى ٥٦٩ .
(٨) ابن حجر ٢٤٣ .

البصرى (عام ١١٠ هـ) وقد اشترك فى جنازته [١] . ثم ارتحل إلى اليمن [٢] ، التى لم يرحل إليها أحد قبله من المحدّثين [٣] . وحاول الناس فى صنعاء عاصمة اليمن أن يبقوه عندهم على الدوام ، وأفلحوا فى ذلك ، لأنه تزوج هناك [٤] . وكان بعد ذلك يذهب من وقت لآخر إلى البصرة ، كما فعل عند وفاة أمه [٥] ؛ ولكنه رجع ثانية إلى اليمن ، وتوفى فيها عام ١٥٤ هـ ، (أو قبل ذلك بقليل فى روايات أخرى) فى الثامنة والخمسين من عمره [٦] ... وزعموا فيما بعد أنه اختفى ، ولكن يصرح تلميذه عبد الرزاق أنه توفى وسط أسرته فى صنعاء ، وأن قاضى صنعاء تزوج أرملته [٧] .

ويوصف معمر بأنه ذو أخلاق حميدة [٨] ، وله شهرة مهمة طيبة فى ميدان الحديث ؛ يقال إن ابن جُريج قال عنه : « عليكم بهذا الرجل ، فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه » [٩] . ويذكر الفهرست أنه صنف « كتاب المغازى » [١٠] ، الذى لم يصل إلينا منه غير فقرات ، أكثرها عند الواقدى وابن سعد ، وبعضها عند البلاذرى

---

(١) نفس المرجع ؛ النووى ٥٦٩ .

(٢) ابن حجر والنووى : نفس المرجع ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٣ ؛ ابن سعد ٥ : ٣٩٧ .

(٣) النووى : نفس المرجع .

(٤) ابن حجر ٢٤٥ ؛ النووى : نفس المرجع .

(٥) ابن سعد ٥ : ٣٩٧ .

(٦) ابن حجر : نفس المرجع ؛ الطبرى ٣ : ٢٥٢٢ .

(٧) ابن سعد ٥ : ٣٩٧ ؛ ابن حجر ٢٤٥ .

(٨) ابن سعد ٥ : ٣٩٧ .

(٩) ابن حجر : نفس المرجع .

(١٠) فلونجل . ينسب هناك إلى الكوفة خطأ .

والطبرى . ويرجع معظم أخباره إلى الزهرى ، ويصرح معمر بوضوح [١] أنه وجه أسئلة إلى الزهرى . ومن الواضح أنه فى الأعوام التى وهب نفسه فيها لطلب العلم ، حضر مجالس الزهرى معتنيا بها ؛ ويذكر ابن معين [٢] معمرا وحده مع مالك ويونس على أنهم أثبت الرواة عن الزهرى . ولم يلتزم معمر أيضا المغازى بالمعنى الخاص ، بل وجه عنايته كذلك إلى تاريخ أهل الكتاب عن الرسل السابقين - وحفظ الطبرى خاصة قدرا كبيرا من هذا الجزء من كتابه - وكذلك تاريخ النبى قبل الهجرة [٣] . أضف إلى ذلك أنه يمدنا عند ابن سعد والطبرى ، بأخبار حوادث خاصة فى عهد عثمان ومعاوية .

ومعمر من الذين أكثر الرواية عنهم الواقدى ، وقد تلقى ابن سعد أخباره عن طريق عبد الرزاق بن همام . وتلميذ معمر اليمنى هذا ، المتوفى عام ٢١١ هـ جمع كتابا يسمى « كتاب المغازى » كما يذكر الفهرست [٤] ، ومن المحتمل أنه لم يكن إلا نسخة جديدة من كتاب أستاذه . وكان عبد المنعم بن إدريس ، ابن أخى وهب بن منبه ، من تلاميذ معمر اليمنيين أيضا [٥] .

محمد بن إسحاق

غطت شهرة محمد بن إسحاق ، الثالث فى حلقة تلاميذ الزهرى

(١) البلاذرى ، ت : دى غويه ٢٢ .
(٢) النووى : ٥٦٩ .
(٣) ابن رستة ٦٣ (وعت المكتبة الجغرافية ، (الكتاب الثالث) أخبارا عن تاريخ يثرب فى الجاهلية) .
(٤) فلوجل ٢٢٨ .
(٥) ابن سعد ٧ : ٩٧ .

المصنفين فى المغازى ، على جميع من سبقه وعاصره بكتابه ؛ وهو أول كتاب وصل إلينا كاملا ، لافى قطع ولا مقتطفات ، وإن كان به نقص كبير . وقد تناول يوحنا فيك Johann Fuck حياته وكتاباته أخيرا فى رسالته المسماة « محمد بن إسحاق » المنشورة فى مدينة فرانكفورت على نهر المين Frankfuhrt - amMain عام ١٩٢٥ ؛ وقد لخصتُ هذه الرسالة فى العرض التالى ، وأكملتها حيثما ظهر لى ذلك ضروريا .

وقد ظهر ابن إسحاق أيضا من أسرة من الموالى . وأُرْسِل جده يسار ، الذى ربما كان عربيا مسيحيا ، عند الاستيلاء على عين التمر فى العراق عام ١٢ هـ ، مع الأسرى الآخرين إلى المدينة [١] ، وصار رقيقا عند بنى قيس بن مَخْرَمة بن المطلب ، وأعتق بعد اعتناقه الإسلام . وكان ليسار أبناء ثلاثة ، تزوج أحدهم ، المسمى إسحاق ، ابنة مولى يسمى صبيح [٢] ، فأنجبت له محمدًا صاحب المغازى فيما بعد ، ويبدو أن محمد بن إسحاق ولد حوالى عام ٨٥ هـ ، يستنتج هذا كما أشار أُوجُسْت فِيشَر August Fischer ؛ من أن جميع الرواة الذين أخذ عنهم ابن إسحاق مباشرة تُوفوا بعد عام ١٠٠ هـ ، وأنه لم يذكر بين رواته جماعة من أشهر المحدثين المدنيين الذين توفوا فى العام التسعين من الهجرة . وروى الواقدى خبرا يتفق مع هذا التاريخ ، قال [٣] : « كان محمد بن إسحاق يجلس قريبا من النساء فى مؤخر المسجد ، فيروى

---

(١) الطبرى ١ : ٢١٢٢ ؛ البلاذرى ، ت . دى غويه ٢٤٧ ؛ فيك ٢٧ ، الملاحظة ٢ .

(٢) القسطلانى ٤ : ٣٢٨ .

(٣) ياقوت ، مرجليوث ٦ : ٤٠٠ ؛ الفهرست ٩٢ .

عنه أنه كان يسامر النساء فرُفع إلى هشام [١] ، وهو أمير المدينة . وكانت له شَعرة حسنة ، فرقق رأسه ، وضربه أسواطا ، ونهاه عن الجلوس هنالك » . وقد استمرت ولاية إسماعيل من عام ١٠٦ إلى ١١٤ هـ ، وإذن كان ابن إسحاق فى ذلك العهد فيما بين العشرين والثلاثين من عمره .

وكان أبوه قبله مشغوفا بجمع الأحاديث ، وغالبا ما يروى عنه ابنه فى كتابه . فلابد لذلك أن يكون محمد بن إسحاق اضطر إلى الاشتغال منذ حداثته برواية الحديث ، ووسع فيما بعد مداركه بزيارة أشهر العلماء ، من أمثال عاصم بن عمر ، وعبد الله بن أبى بكر ، والزهرى ، وقد رجع إلى الثلاثة جميعهم فى كتابه . ولكنه حاول أيضا أن يحصل على الأخبار من كل مكان آخر ، ويذكر قُرابة مئة راوٍ من المدينة وحدها .

ووفد ابن إسحاق عام ١١٥ هـ على الإسكندرية [٢] ، حيث سمع خاصة من يزيد بن أبى حبيب (المتوفى عام ١٢٨ هـ) الذى كان أول من غرس دراسة الحديث فى مصر [٣] ؛ ولم يرحل ابن إسحاق من مصر إلى العراق مباشرة كما يظن عامة الناس ، ولكنه زار بلدته المدينة فى أول الأمر ، كما رجح « فيك » ؛ وربما كان فى إحدى هذه الزيارات [٤] حين أبرزه أستاذه الزهرى للحاضرين فى عام ١٢٣ هـ .

---

(١) يذكر ياقوت هشاما ؛ ولكنه لما كان واليا على المدينة من عام ٨٢ إلى ٨٦ هـ ، فإنه من الصعب أن يكون هو الوالى المشار إليه ، ومن المؤكد أن الوالى المعنى هو ابنه إسماعيل ، أما الفهرست فلا يذكر اسم الوالى .

(٢) ابن هشام : المقدمة ، م .

(٣) جولد تسيهر : دراسات إسلامية ٢ : ٧٣ ؛ فيك ٣٠ ، الملاحظة ٢٧ .

(٤) البخارى : التاريخ ٢٢١ .

وقد قابل سفيان بن عيينة ابنَ إسحاق فى المدينة فى عام ١٣٢ هـ أيضا [٢] . وأخيرًا صار مقامه فى بلدته غير ملائم له ، فقد مُنى فيها بعداوة رجلين ، عداوة هشام بن عروة وعداوة مالك بن أنس ، وقد عرف ابن إسحاق أحاديث أبى هشام عُروة ، الذى أشبعنا الكلام عنه فى مقال سابق ، عن طريق الزهرى ، وأفاد من استخدامها فائدة كبيرة . ويظهر هشام نفسه ، الذى ندين له هو والزهرى ويزيد بن رومان بقسط كبير من المادة التى جمعها والده ، من وقت لآخر فى رواة ابن إسحاق ، ولكن يبدو أنه وصف ابن إسحاق بأنه غير جدير بالثقة فى مواضع خاصة .

يقول ابن قتيبة [٣] فى هذا الصدد : « وكان [ابن إسحاق] يروى عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير ، وهى امرأة هشام بن عروة . فبلغ ذلك هشاما فأنكره ، وقال : أهو كان يدخل على امرأتى ؟ » . ويشبه ذلك كثيرا مايروى فى الفهرست [٤] : « يروى (ابن إسحاق) عن فاطمة بنت المنذر ، زوجة هشام بن عروة ، فبلغ هشاما ذلك فأنكره ، وقال : متى دخل إليها ومتى سمع منها ؟ » . ولكن جواب هشام المروى فى معجم ياقوت [٥] ألطف من ذلك بعض الشئ يقول : « هو كان يدخل على امرأتى ؟ كأنه أنكر ذلك » .

والحادثة فى ذاتها قليلة الأهمية ، فقد سمعنا عن أخذ جامعى الأحاديث عن النساء . ورأينا آنفا عبد الله بن أبى بكر ، الذى كان من

---

(١) ابن خلكان ١ : ٦١٢ . (٢) البخارى : التاريخ ١٥٥ .

(٣) كتاب المعارف ، نسخة وستنفلد ٢٤٧ .

(٤) ت . فلوجل ٩٢ . (٥) ت . مرجليوث ٦ : ٣٩٩ .

أشراف المدينة مثل عروة ، لا يعترض أى اعتراض على رواية امرأته عمرة الأحاديث لتلميذه . ولم يكن هذا التلميذ سوى ابن إسحاق . ومن المحتمل أن هشاما أيضا لم يعترض أى اعتراض على امرأته ، التى كانت أكبر كثيرا من زوجها وأكبر من ابن إسحاق بما يقرب من ٣٠ أو ٤٠ عاما [١] لروايتها الأحاديث له ؛ بل لم يكن هشام عارفا بأية زيارة من ابن إسحاق لبيته أخذ فيها الأحاديث عن فاطمة ، ولذلك شك فى صحة أقوال ابن إسحاق .

أما خصومة مالك بن أنس مؤلف « الموطأ » المشهور ، فلها أسباب أخرى . فقد قيل عدة مرات إن ابن إسحاق كان يتمسك بمذهب القدَر [٢] . ويقرر أبو زُرْعة أن دُحَيما المتوفى عام ٢٤٥ هـ ، صرح له بأن سبب خصومة مالك لابن إسحاق آراؤه فى القدَر [٣] . ويقال إنّ ابن إسحاق صرّح بعدم رضاه عن علم مالك ، ويخبرنا تلميذ ابن إسحاق ، عبد الله بن إدريس بعبارة ابن إسحاق ، وبجواب مالك عنها [٤] : « كنت عند مالك بن أنس ، فقال له رجل : إن محمد بن إسحاق يقول : اعرضوا علىّ علم مالك بن أنس فإنى أنا بَيْطاره . فقال مالك : انظروا إلى دجال من الدَّجاجلة يقول : اعرضوا علىّ علم مالك » ! ويقول الراوى – الذى لفت نظره فى جواب مالك الناحية اللغوية قبل كل شئ – : « وما رأيت أحدا جمع الدَّجَّال قبله » .

(١) ولدت عام ٤٨ هـ كما يقول ابن حجر : التهذيب ١٢ : ٤٤٤ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف ٣٠١ .
(٣) ابن حجر : التهذيب ٩ : ٤٢ ؛ فيك ٢٠ ، الملاحظة ٤٠ .
(٤) ياقوت : ت . مرجليوث ٦ : ٤٠٠ .

ويبدو أن ابن إسحاق لم يكن له أى نوع من الصِّلات ببلاط دمشق بخلاف أستاذه الزهرى . وربما كان سقوط تلك الأسرة عام ١٣٢ هـ ، وارتقاء العباسيين عرش الخلافة سببا إضافيا لمغادرته بلدته . وعلى كل حال نسمع [١] أنه رحل من المدينة إلى الكوفة ، والجزيرة ، والرى ، وبغداد ، حيث يقال إنه ظل فيها حتى وفاته . وتعطينا رواية أخرى تفاصيل أدق عن إقامته فى تلك المناطق [٢] :

« وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بالجزيرة (حيث كان العباس واليا فى عام ١٤٢ هـ) ؛ وكان قصد أبا جعفر المنصور (الذى تولى الخلافة من عام ١٣٦ إلى ١٥٨ ، ولكنه تحول إلى بغداد فى عام ١٤٦ للمرة الأولى) بالحيرة فكتب إليه المغازى . فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب ، وسمع منه أهل الجزيرة حين كان مع العباس ابن محمد . وأتى الرى (حيث كان يعيش ولى العهد المهدى من قبل عام ١٥١ هـ) . فسمع منه أهلها ، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة . وأتى بغداد فأقام بها إلى أن مات بها » . ومات ابن إسحاق فى بغداد عام ١٥٠ أو ١٥١ هـ[٣] ، ودفن فى مقبرة الخيزُران[٤].

ولا تعنى هذه الرواية أنه كتب المغازى للخليفة بعهد منه . إذ تبين قائمة الرواة الذين ذكرهم أنه ألف مادته على أساس الأحاديث التى جمعها فى المدينة خاصة ، وعلى أساس الأحاديث التى جمعها فى مصر أيضا ؛ ومن جهة أخرى لايذكر أسماء رواة من العراق فى أى مكان .

---

(١) ابن سعد ٧ : ٦٧ .

(٢) ياقوت ، ت : مرجليوث ٦ : ٣٩٩ ؛ انظر ابن قتيبة : المعارف ٢٤٧ .

(٣) ابن سعد ٧ : ٦٧ ومقالات التراجم الباقية .

(٤) ياقوت ، ت . مرجليوث ٦ : ٣٩٩ .

ومن الواضح أن الكتاب تم حين غادر ابن إسحاق أخيرا مدينة آبائه ، ونعرف أيضا مدنيا رَوَى كتاب ابن إسحاق : وهو إبراهيم بن سعد (المتوفى عام ١٨٤ هـ) ومع ذلك قد يُظن أن ابن إسحاق أجرى بعض التغييرات الإضافية فى كتابه ، لإرضاء الخليفة ، أو أنه اختصر الفقرات التى خاف ألّا ترضيه . ومع ذلك نستطيع أن نؤكد من جهة أخرى ، أن ابن إسحاق عالج فى كتابه حادثا لايمكن أن يُرضِى الخليفة تذكره : ذلك هو الدّور الذى قام به جده العباس فى وقعة بدر إلى جانب خصوم النبى المكيين . ويؤكد ابن إسحاق [١] ذلك الدور بوضوح ، ويذكر العباس بين أسرى بدر . ومن الحق أن الدور الذى قام به العباس لطّفه أنه حارب النبى بغير رضاه ، كما تقول رواية قَبِلها ابن إسحاق وتُرفع إلى ابن عباس [٢] ، وأنه هو وامرأته ناصرا الإسلام منذ فترة طويلة ، وإن لم يعتنقاه جهرة إلى اليوم ، كما تقول رواية أخرى ترجع إلى مولى للعباس[٣] . وليس من المحتمل أن ابن إسحاق أدخل هذه الأقوال الملطفة للمرة الأولى بتأثير العباسيين ، لأن تلميذه المدنى المذكور سابقا إبراهيم بن سعد ، روى القول بأن العباس اعترف بنبوة ابن أخيه بعد أسره [٤] . وحتى إذا كانت أقوال ابن إسحاق هذه أدخلت للمرة الأولى فى زمن مغادرته لبلدته ، فإنه لم يذهب بعيدا إلى حد الموافقة على اختصار الدور الذى قام به العباس فى بدر ، كما فعل ابن هشام والواقدى فيما بعد .

---

(١) الطبرى ١ : ١٢٤١ ؛ ابن سعد ٤ : ٧ ، الطبرى ١ : ١٣٤٤ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨١ ؛ الطبرى ١ : ١٣٢٣ ، ابن سعد ٤ : ٥ .

(٣) ابن هشام ٢ : ٣٠١ ؛ الطبرى ١ : ١٣٣٩ .

(٤) ابن سعد ٤ : ٧ .

ويسمى كتاب ابن إسحاق « كتاب المغازى » [١] وكان ينقسم فى الأصل إلى أجزاء ثلاثة : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازى [٢] ، أى أنه عالج تاريخ الرسالات قبل الإسلام ، وشباب النبى ونشاطه فى مكة ، وأخيرا الفترة المدنية . ولم يُحفظ لنا الكتاب كاملا فى صورته الأصلية [٣] . وتوجد مخطوطة فى القسطنطينية فى مكتبة كبريلى ، قد يظن من الفهرست المطبوع أنها تحتوى على الكتاب بصورته الأصلية ، ويتجلى لى عند المعاينة أنها نسخة من ابن هشام . ومع ذلك يمكّننا هذا الموجز ، الذى صار فى متناول الجميع فى طبعة وستنفلد (جوتنجن ١٨٥٩) وفى طبعة بُولاق أيضا [٤] ، يمكّننا من تكوين صورة واضحة عن منهج الكتاب فى صورته الأصلية ، بعد ربطها بالقطع الكثيرة المذكورة فى الطبرى وغيره من المؤرخين . ويقرر ابن هشام (المتوفى عام ٢١٨ هـ) الذى روى كتاب ابن إسحاق عن تلميذه المباشر البكّائى (المتوفى عام ١٨٣ هـ) فى مقدمته [٥] ما أحدثه من التغييرات فى كتاب ابن إسحاق . فترك تاريخ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم ، ولم يذكر من سلالة إسماعيل غير أجداد النبى المباشرين . وكذلك ترك بعض الحكايات التى رواها ابن إسحاق وليس فيها ذكر النبىّ ، أو لايشير إليها القرآن ، ولا تحتوى على مناسبة أو شرح أو تأكيد أىِّ أمر آخر مروىّ فى

---

(١) ابن سعد ٦ : ٢٧٦ ، ٧ : ٨١ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٤٧ ، فقرات أخرى عند « فيك » ٣٤ الملاحظة ١ .

(٢) « فيك » ٣٤ ، الملاحظات ٥ - ٦ يذكر الفقرات التى توجد فيها هذه الإشارات .

(٣) حقق قسما منه ونشره فى فاس محمد حميد الله سنة ١٩٧٦

(٤) لم تكن قد ظهرت فى زمن المؤلف طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة سنة ١٩٣٦ - ح .

(٥) ١ : ٤ .

كتاب ابن إسحاق . وقد أجرى كل هذا الحذف ليختصر الكتاب . ولكن هناك محذوفات أخرى لأسباب أخرى : فقد حذف القصائد التى كان لا يعرفها علماء الشعر الذين سألهم عنها ؛ والحقائق التى يؤذى ذكرها بعضَ الناس ، أو يحتمل أن يسيء إليهم ؛ ثم الأخبار المنسوبة حقًّا لابن إسحاق ولكن البكائى كان يجهلها . وأجرى ابن هشام أيضا تصحيحات حقة ، وإضافات كثيرة فى الأنساب واللغة ، يشير إليها دائما أنها من عنده ؛ ولكنه لم يغير فى النصّ ؛ ولا يحتوى ملخصه إلا على إشارات ، فى كل مرة ، إلى المواضع التى حذف منها أشياء . ومع ذلك ، فنحن فى موقف نستطيع فيه ، بمساعدة الفقرات التى فى الكتب الأخرى من كتاب ابن إسحاق ، أن نسترجع قدرا كبيرا مما حذفه ابن هشام ، فنملأ النقص فى نسخته . وقد وعى الطبرى خاصة جزءا كبيرا من الفصل الخاص بأنبياء أهل الكتاب ، فهو يعطينا فى تاريخه وفى تفسيره مقتطفات كثيرة كبيرة من تلك الفصول من كتاب ابن إسحاق المنتمية للمبتدأ ، على حين حفظ لنا الأزرقى أخبارا كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم ، المحذوف عند ابن هشام . ويُستنتج من مقدمة ابن هشام أن محذوفاته من المغازى كانت طفيفة ، بعكس هذه المحذوفات المهمة من المبتدأ ، ولكن الطبرى يفوق الجميع هنا أيضا فى تقديم مايمكننا من ملء الثغرات ، فهو مثلا حفظ الخبر الخاص بأسر العباس فى بدر [١] ، ذلك الخبر الذى تركه ابن هشام خوفا من إساءته إلى « بعض الناس » ، أى الأسرة الحاكمة ، كما لاحظنا من قبل .

---

(١) الطبرى ١ : ١٣٤١ . انظر « فيك » ٣٦ ، الملاحظات ٢٢ - ٣٢ لمعرفة المقتطفات من أصل ابن إسحاق عند الكتاب الآخرين .

وإذا عُنينا بهذه الفقرات المحفوظة فى مقتطفات ليست فى نص ابن هشام ، وصلنا إلى الصورة التالية لمنهج كتاب ابن إسحاق .

(أ) التاريخ الجاهلى (المبتدأ) الذى ينقسم إلى أربعة فصول ، يتناول أولها الوحى قبل الإسلام منذ خلق العالم حتى عيسى . وقد لقى هذا الفصل الحظ الأوفر من إعراض ابن هشام . ولما كان ابن إسحاق معنيا فى كل مكان بالتاريخ السنوى ، أعد لهذا الفصل أيضا مثل هذه الإحصاءات ، وعُنى بروايات وهب بن منبه ، وروايات ابن عباس ، وأخبار الأدباء اليهود والمسيحيين ، ونص الكتاب المقدس نفسه ؛ إلى جانب رجوعه إلى القرآن . ويظهر فيه إلى جانب رجال الكتاب المقدس القبائل العربية من عاد وثمود ؛ الذين أرسل الله إليهم رسله ؛ كما يقول القرآن ؛ ولكنه يذكر أيضا طَسْمًا وجَدِيسًا ، وهما غير مذكورتين فى القرآن .

ويتناول الجزء الثانى من « المبتدأ » الذى حُفظت مادته فى كتاب ابن هشام [١] ، والذى يمكن تكميله من الطبرى أيضا [٢] ، تاريخ اليمن فى العصور الجاهلية . وقد أدت دراسة القرآن إلى الاشتغال بتاريخ اليمن من قبل ؛ فقد أعطتهم السورة ٨٥ التى تتناول « أصحاب الأخدود » الفرصة للبحث فى انتشار اليهودية والمسيحية فى جنوب بلاد العرب ، لأن التفاسير المأثورة ترى فى هذه الآيات إشارة إلى سقوط ذى نُواس الملك اليهودى ؛ على حين رغبوا فى دراسة « أصحاب الفيل » (السورة

---

(١) تحقيق الأستاذ مصطفى السقا مع آخرين ، وهى النسخة التى رجعت إليها من السيرة — ح .

(٢) ١ : ٩٠١ - ٩٥٨ .

١٠٥) لمعرفة جيش أبرهة والى اليمن الحبشى ، الذى منعه أمر الله من متابعة الهجوم على مكة وحرمها .

ويتناول الفصل الثالث من « المبتدأ » القبائلَ العربية وعبادتَها الأصنام [١] ؛ والرابعُ أجدادَ النبى المباشرين والديانات المكية [٢] .

وجملة القول إن الأسانيد نادرة فى « المبتدأ » ، وهى فى أغلب الأحيان فى الفصل الأول .

(ب) المبعث ويشمل حياة النبى فى مكة ، والهجرةَ ، وربما شمل العام الأول من نشاطه فى المدينة أيضا . ويزداد فى هذا الجزء عدد الأسانيد ، ويعتمد ابن إسحاق خاصة على روايات أساتذته المدنيين ، التى يبرزها فى نظام سنوى ، وهو يقدم للأخبار الفردية بموجز حاو لمحتوياتها فى الغالب . وفى هذا الجزء ، إلى جانب القصص التى يجلبها بإسناد أو بغيره ، وثيقة دوَّنها ابن إسحاق وحده ، ولم يدونها أحد من جامعى المغازى الأولين ، تلك الوثيقة هى معاهدة النبى المشهورة مع القبائل المدنية ، المسماة « نظام مجتمع المدينة » [٣] ، وكذلك مجموعات كاملة من القوائم [٤] : قائمة بالمؤمنين الأولين ، وقائمة بالمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، وقائمة بأول من أسلم من

---

(١) ابن هشام ١ : ٧٨ - ٩٣ .

(٢) نفس المرجع ٩٣ - ١٦٦ .

(٣) نفس المرجع ٢ : ١٤٧ . لا يذكرها ثانية إلا ابن سيد الناس ، متابعا ابن إسحاق ، فى كتابه « عيون الآثار » انظر فنسنك : محمد واليهود فى المدينة (ليدن ١٩٠٨) ٨٢ .

(٤) ابن هشام ١ : ٣٤٤ ، ٢ : ٣ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٥٠ .

الأنصار؛ وقائمة بالمشتركين فى بيعتى العَقَبة ؛ وقائمة بالمهاجرين والأنصار الذين تلقَّوهم فى المدينة ، وقائمة بالمهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبىّ .

(حـ) المغازى : وهو تاريخ النبى فى المدينة منذ أول صيحة للحرب مع القبائل المشركة إلى أن توفى النبى . وتنتشر الغزوات الفعلية فى جميع أنحاء الجزء ، فلا يعالج بتفصيل غيرَ مرض النبى الأخير ووفاته . والقاعدة هنا وجود الإسناد ، ورواة ابن إسحاق أساتيذه المدنيون ، وأهمهم الزهرىّ ، وعاصم بن عمر ، وعبد الله بن أبى بكر ، الذى يدين له بالنظام السنوىّ . ومع ذلك زاد ابن إسحاق المادة المجموعة منهم ومن غيرهم زيادة ملحوظة ، بالأخبار التى أضافها من الرواة الآخرين ، وخاصة الأقوال التى أخذها عن أَقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا فى الحوادث (١) . ويستخدم ابن إسحاق منهجا محددا لعرض الغزوات الفعلية ؛ يقدم ملخصا حاويا للمحتويات فى المقدمة ، ويتبعه خبرا جَمَاعيّا مؤلفا من أقوال أوثق أساتيذه ، ثم يكمل هذا الخبر الرئيس بالأخبار الفردية التى جمعها من المراجع الأخرى . والقوائم كثيرة فى المغازى أيضا (٢) ؛ فهو يدون قائمة بأولئك الذين حاربوا فى بدر ؛ وأخرى بالقتلى والأسرى ؛ وثالثة بقتلى أحد ، وكذلك قتلى الخندق ، وخيبر ، ومُؤْتة ، والطائف ، والمهاجرين الذين رجعوا من الحبشة .

---

(١) « فيك » ٤٢ ، الملاحظات ٧٤ - ٨٢ ، تعطى أقوالا كاملة عن الإسناد فى هذا الجزء .

(٢) ابن هشام ٢ : ٣٣٣ - ٣ : ٨ ، ١٢٩ - ١٣٥ ، ٢٦٤ ، ٣٥٧ ، ٤ : ١ - ١٢ ، ٣٠ ، ١٠١ .

وجمع « فيك » قائمة بخمسة عشر تلميذا لابن إسحاق [١] ، ونستطيع منها أن نبرهن على أنهم رَوَوا كتاب أستاذهم « كتاب المغازى » ، وكان أحدهم وهو إبراهيم بن سعد المذكور سابقا ، تلميذه فى المدينة ، وأما الآخرون فعرفوا كتابه عن حياة النبى فى الكوفة ، والرىّ ، وبغداد . وأشهر النسخ المروية عن تلاميذه عندنا نسخة البكائى ، التى اعتمد عليها ابن هشام ؛ ومن جهة أخرى ترجع معظم الفقرات عند الطبرىّ إلى سلمة بن الفضل (المتوفى عام ١٩١ هـ) . وأستنتج من رسالة جد لطيفة أرسلها لى المستر كرنكو F. Krenkow أن « مستدرَك » الحاكم النيسابورى ، الذى يُطبع الآن فى حيدرأباد [٢] ، يحوى فى الفصل الخاص بالمغازى عدة مقتطفات من كتاب ابن إسحاق ، استعار معظمها من نسخة يونس بن بُكَير (المتوفى عام ١٩٩هـ) ومثله فى ذلك ابن الأثير فى كتابه « أسْد الغابة » ، وابن حجر فى « الإصابة » . ويبدو أن آخر مقتطفات محفوظة من ابن إسحاق هى تلك التى عند ابن حجر [٣] ؛ ولكن سعة انتشار ملخص ابن هشام قللت الحاجة إلى الكتاب الأصلى منذ عهد بعيد . فاليعقوبى (المتوفى حوالى عام ٣٠٠ هـ) يستخدم ملخص ابن هشام هذا [٤] .

وأكبر أساتيذ ابن إسحاق هو الزهرىّ ؛ وغالبا مايُعبر عن العلاقة التى كانت بينهما فى صورة الإسناد ؛ فيقول مثلا : « حدثنى محمد بن

---

(١) محمد بن إسحاق ٤٤ . (٢) طبع المستدرك فعلا فى ١٣٣٤ - ١٣٤٢

(٣) « فيك » : نفس المرجع ٣٤ ، الملاحظة ٨ .

(٤) نفس المرجع ٣٢ .

مسلم الزهرىّ » ، أو « سألت ابن شهاب الزهرىّ » أو يقول : « حدثنى الزهرىّ ... قد جمعت لك الذى حدثنى القوم » [١] .

وبعث ابن إسحاق أيضا إلى الزهرىّ وثيقة رواها له يزيد بن أبى حبيب فى مصر عن سفارات النبى إلى الأمراء المختلفين ، كى يتحقق من صحتها [٢] .

ويجرى ذكر الزُّبيريين كثيرا بين شيوخ ابن إسحاق ، إلى جانب الزهرىّ ، وعاصم ، وعبد الله بن أبى بكر . ولا يدين ابن إسحاق بكثير من الأخبار ليزيد بن رُومان [٣] ، مولى عروة بن الزبير وحده ، بل لموالى بنى الزُّبير الآخرين أيضا [٤] ، ولأقارب تلك الأسرة كذلك ، مثل هشام ويحيى ابنى عروة [٥] ؛ وعمر بن عبد الله ابن أخى عروة [٦] ، ومحمد ابن جعفر ابن أخى عروة [٧] ثم ليحيى بن عباد بن عبد الله ابن أخى عروة الكبير [٨] .

---

(١) ابن هشام ١ : ٣٥٧ ، ٢ : ١٣٣ ، ٢١٣ ، ٣ : ٣٠٩ ، ٣٧١ ، فيك ١٠ ، الملاحظة ٣٨ .

(٢) ابن هشام ٤ : ٢٥٥ ؛ الطبرى ١ : ١٥٦٠ .

(٣) الذهبى : ت . فيشر (تراجم الصحابة) ٨٤ ؛ ابن حجر : التهذيب ١١ : ٣٢٥ .

(٤) وهب بن كيسان ، ابن هشام ١ : ٣٦٤ ؛ وإسماعيل بن أبى حكيم ، نفس المرجع ١ : ٢٥٤ .

(٥) ابن هشام ١ : ٣٠٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٢ : ٥٨ .

(٦) نفس المرجع ٢ : ٥٧ ، ٢٣٨

(٧) نفس المرجع ٢ : ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٢٢٣ ، ٣١٦ ، ٣ : ٤٧ ، ١٠١ ، ٢٥٢ ، ٣٠٧ .

(٨) نفس المرجع ٢ : ١٣٣ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣ : ٨٢ ، ٩١ ، ١٨٢ .

ورجع ابن إسحاق ، إلى جانب من رجع إليهم من علماء الإسلام بالحديث والتفسير – وكان أستاذه المقدم فى هذا الميدان محمد بن أبى محمد من الموالى [١] – والمغازى إلى العلماء غير المسلمين حين كان يريد أخبارا عن الحوادث اليهودية ، والمسيحية ، والفارسية . فيذكر بين رواته « بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول » ، أو « أهل التوراة » ، أو « من يسوق الأحاديث عن العجم » [٢] ، ويبدو أنه الوحيد بين علماء المدينة الذى قَبِل مثل هذه الأقوال ، وقد عيب عليه ذلك فيما بعد ؛ على حين أخذ وهب بن منبه ، فى جنوب بلاد العرب ، قبل ابن إسحاق ، مثل هذه الأخبار غير الإسلامية دون أىّ تحرج ؛ أضف إلى ذلك أن ابن إسحاق يذكر وهبا عدة مرات بين رواته فى قصص أهل الكتاب ، وكان المغيرة بن أبى زبيد [٣] الراوى الذى وصلته عنه أقوال وهب . ويبدو أن ابن إسحاق ، فيما عدا وهبًا ، أول مؤلف عربى يعطينا فقرات من العهدين : القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية ، فيقدم الفقرات ٥٠ : ٢٢ بقوله : « وفى التوراة » [٤] ، والفقرة ٤ : ٩ – ١٦ من سفر التكوين بقوله : « ويزعم أهل التوراة » [٥] ، والفقرة ١٥ : ٢٣ من يوحنا بالتصريح بأنها « مما أثبت يُحَنّس الحَوارىّ » [٦] . وإذا جاء

(١) « فيك » ٢٩ ، الملاحظة ٢٢ .

(٢) الطبرى ١ : ١٤٠ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٤١٣ ، ٧٣٧ ؛ ابن هشام ١ : ٣٢٨ ؛ انظر أيضا جولد تسيهر : اتجاهات التفسير عند المسلمين ٩٠ .

(٣) « فيك » ٢٩ .

(٤) الطبرى ١ : ٤١٣ .

(٥) نفس المرجع ١٤١ .

(٦) ابن هشام ١ : ٢٤٨ .

ابن إسحاق فى نفس الوقت بالمَنَحَّمانَّا almanahhamana بدلا من البَرَقْلِيطس الإغريقية ، فإن ذلك يدل على أن الفقرات التى اطلع عليها مطابقة للترجمة المسماة بالفلسطينية المسيحية [(١)] .

وتكشف بعض قوائم النسب عن اتفاق شديد مع نص الكتاب المقدس ؛ فتوافق قائمة أبناء إسماعيل سفر التكوين ٢٥ : ١٣ - ١٦[(٢)] كلمة بكلمة .

ويأخذ ابن إسحاق القوائم والرسائل والوثائق الأخرى التى يوردها بغير إسناد فى غالب الأحيان ، عن مدوَّنات كان قد حصل عليها [(٣)] . وكان أستاذه عبد الله بن أبى بكر ، الذى كان عند أسرته نسخة من رسالة النبى لجده الأكبر ، كما قد رأينا ، قد جمع مجموعة من تلك الوثائق ، ولا يروى تلميذه ابن إسحاق هذه الوثائقَ إلا عنه [(٤)] . وكذلك يعطينا قطعة أخرى من الوثائق من رواية أستاذه المصرى يزيد بن أبى حبيب [(٥)] .

وأدخل المتقدمون على ابن إسحاق فيما أدخلوه من الأخبار والوثائق النثرية فى مجموعاتهم كثيرا من الأشعار ، ولكن أحدا منهم لم يدخلها بالقدر الكبير الذى أدخله ابن إسحاق فيما نظن .

---

(١) نولدكه شولى Nöldeke Shwalley : تاريخ القرآن ١ : ٩ .

(٢) ابن هشام ١ : ٢ .

(٣) كذا يقول ابن إسحاق عن رسالة من النبى لإحدى القبائل : وكتب لهم كتابا وهو عندهم .

(٤) ابن هشام ٤ : ٢٣٥ ؛ الطبرى ١ : ١٧١٧ ؛ ابن هشام ٤ : ٢٣٧ ؛ الطبرى : ١ : ١٧٢٤ ؛ ابن هشام ٤ : ٢٣٩ ؛ الطبرى ١ : ١٧٢٧ ؛ ابن هشام ٢ : ٢٤١ ؛ الطبرى ١ : ١٧٤٨ .

(٥) ابن هشام ٤ : ٢٤٥ ؛ الطبرى ١ : ١٧٤٠ .

روى مؤلف الفهرست [١] : « ويقال : كان يُعْمَل له الأشعار ، ويُؤتى بها ، ويُسأل أن يدخلها فى كتابه فى السيرة ، فيفعل . فضمَّن كتابه من الأشعار ماصار به فضيحة عند رواة الشعر » . ورماه بنفس هذا العيب من قبلُ محمد بن سلام الجُمَحِىّ [٢] (المتوفى عام ٢٣١هـ) ويزيد عليه أن ابن إسحاق دافع عن نفسه بأنه ليس عالما بالشعر ، وأنه يرضى بما يُحمل إليه من القصائد . ولكن ليس هذا بالاعتذار عن وضع القصائد على أفواه الرجال الذين لم ينظموا شعرا عامة ، بل على أفواه النساء أكثر من الرجال ، بل يبعد كثيرا إلى درجة ذكر قصائد من عاد وثمود دون أن يسأل نفسه من حفظها فى أثناء آلاف الأعوام التى انقضت منذ فناء هذه القبائل . حقًّا إن الطبرى حفظ [٣] بعض القصائد من عهد عاد وثمود كان ذكرها ابن إسحاق فى كتابه ؛ ويصرح ابن هشام أيضا عن جمهور كبير من القصائد التى ذكرها ابن إسحاق فى كتابه ، بأنها غير معروفة عند أهل العلم بالشعر ، ولا يذكر ابن إسحاق إلا فى النادر أسماء الذين أمدوه بهذه القصائد . وقد أخذ بعض القصائد الخاصة بحوادث الفترة المدنية من أستاذه عبد الله بن أبى بكر [٤] ، كما يخبرنا ؛ والخاصة بإحدى مراثى بنت عبد المطلب عند وفاة أبيها ، تلك المرثية التى يذكرها ابن إسحاق كاملة ، ويعلق عليها ابن هشام بقوله [٥] : « ولم أرَ أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا

---

(١) ت : فلوجل ٩٢ ؛ ياقوت ، ت . مرجليوث ٢ : ٤٠٠ .

(٢) طبقات الشعراء ، ت . هل ٤ .

(٣) ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٣ ، ١٨ ، ٤٩ .

(٥) ابن هشام ١ : ١٧٩ . يستنتج من ابن هشام ١ : ١٨٣ أن المراثى الباقية أيضا ترجع إلى محمد بن سعيد .

الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه » . ولن نخطئ كثيرا إذا استنتجنا أن ابن فقيه المدينة المشهور هذا ليس راوى هذه القصيدة فحسب ، بل مؤلفها أيضا ؛ إن لم يكن ألفها أبوه ، الذى نراه شديد الصلة بفن الشعر خاصة [١] .

والآن كيف نحكم على إدخال مثل هذه القصائد ؟ وهل يستحق ابن إسحاق نقد الجمحى ؟

لا يوجد مايدعو إلى الشك فى صحة كثير من القصائد التى ذكرها ابن إسحاق ، وخاصة التى تتصل بحوادث المدينة ، وكثير منها كان معروفا بصحته فى عهد ابن هشام لدى علماء الشعر . ولم يكن ابن إسحاق يتمسك بصحة كثير من الباقى على الإطلاق ، ولكنه لم يقم بأبحاث خاصة فى صحتها لم يعتد العلماء المحترفون القيام بها ، ولا تمسه مسألة صحتها مسًّا خاصًّا . فهو استشهد بهذه الأشعار ، على قدر ظهورها له جديرة بالاستشهاد ؛ لأنها تنفع فى تزيين القصة ، ولأن إدخال القصائد فى الأخبار النثرية كان من الأمور المتبعة فى الفن المأثور القديم عن القصاص العرب ؛ وقد أشرت فى مقال عن « اقتباسات السيرة الشعرية » [٢] إلى أننا نجد مثل هذه الإقتباسات فى أخبار أيام العرب وفى أخبار الغزوات الإسلامية ، وأنه تكثر فى هذه الأخبار النقائض – أعنى المعارضات الشعرية التى ينشد فيها ممثلو الفريقين المتخاصمين أحدهما بعد الآخر ، ويجاوب فيها الشاعرُ الثانى الأولَ

(١) لا نستطيع أن نساير المؤلف فى هذا الرأى ، فهو ظاهر المغالاة فيه ؛ فليست الرواية وحدها كافية لاتهام محمد بن سعيد بن المسيب بالوضع ، كما أن الميل الشعرى وحده ليس بكاف لاتهام سعيد نفسه على جلالة قدره ، وعظيم مكانته بالوضع ، وإذا كانت الشبهة تحوم حول الابن فإنها بعيدة كل البعد عن الأب – ح .

(٢) مجلة الإسلام Islamica ، العدد الثانى ، ص ٣٠٨ ومابعدها .

بنفس الوزن ونفس القافية – تكثر هذه النقائض فى الأيام كما تكثر عند ابن إسحاق . بل نجد الشعراء فى أخبار النقائض بين الأوس والخزرج فى العصر الجاهلى يمثلون أبطال القبائل المتخاصمة كما هو الحال فى المغازى فيما بعد (حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة) ويكشف ابن إسحاق عن نزاهة غير عادية فى إدخال القصائد ؛ حتى ليسمح لخصوم النبى بإدخال الأشعار التى نظموها دون تحرج ، وفى بعض الأحوال يرى ابن هشام أن من الضرورى التلطيف من حدة بعض عبارات هؤلاء الشعراء . ويجدر بنا أن نؤكد أن هذه القصائد ليست لها طبيعة قصصية على الإطلاق ، وإن كانت تحتوى فى الغالب على إشارات للحوادث المروية فى الأخبار النثرية ، ولا ينطبق هذا بدون تكلف على القصائد التى ذكرها ابن إسحاق وحده ، بل على القصائد الموجودة عند المؤرخين والقصاص الآخرين فى الزمن المتقدم . وإنما لها طبيعة غنائية أكثر منها قصصية ، ولا تُنسب للقاصّ نفسه أبدا ، بل توضع على فم أحد الممثلين فى الحوادث ، على فم البطل نفسه أو فرد من قبيلته معبّرًا عن مشاعره تلقاء الحوادث ، وعلى أفواه النساء أيضا ، اللائى ينعين الميت أكثر من أى عمل آخر ؛ وربما كان ابن إسحاق فى بعض الحوادث التى توافر له فيها قدر من الأقوال الشعرية ، أول من وضع كل هذه الأشعار معا فى نهاية الفصل المعالَج [1] على حين يقطّع هو ، فى المواضع الأخرى ، والقصاصُ الآخرون الخبر النثرى بالمقتبسات الشعرية .

وجمع ابن إسحاق المادة التى رواها له أساتيذه فى روايات ، وزادها

(١) ابن هشام ٣ : ٨ – ٤٥ ، ١٣٥ – ١٧٧ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٦٦ – ٢٨٣ .

ح : قام بهذه المحاولة عبيد بن شرية من قبل فى أخباره .

بالأقوال الكثيرة التى جمعها بنفسه ، فى عرض حسن التنظيم لحياة النبى . وقد أدخل فى هذا العرض قوائم ، ووثائق ، وأشعارا أخذ جزءا منها من أساتيذه ، والجزء الآخر جمعه بنفسه . وجَمْع هذه المادة وحدها وترتيبها جهد كبير ، وإن كان سبقه فى ذلك أناس ، ولكنه ربما لا يكون أول من عرض جميع فترات حياة النبى باتساق فى كتابه حسب بل وسع أيضا تلك الترجمة بجعلها تاريخا للرسالة عامة ، أدخل فيه حياة الأنبياء المتقدمين أيضا .

وعندما نتكلّم عن ترتيب المادة نقول : إن ابن إسحاق بذل جهدا خاصا فى ربط الروايات الفردية إحداها بالأخرى . بعبارات موجزة تلخص محتوياتها [١] ، وأنه كان يكوّن فى كثير من الأحيان خبرا عاما موحّدا من عدة أخبار من رواته المختلفين ، يصدره بأسمائهم ، وخاصة فى المغازى بالمعنى الخاص ، كما فعل أستاذه الزهرى من قبل فى أحوال كثيرة .

ومهما اختلف الرأى فى صحة قدر كبير من الأخبار التى جمعها ابن إسحاق ، وكان يعبر عن شكه فى الغالب بملاحظات معترضة مثل « فيما يزعمون ، والله أعلم » فإن كتابه كجهد أدبى يرتفع إلى مرتبة عالية ، وتزداد قيمته لدينا لأنه يمثل أقدم الكتب النثرية العربية التى وصلت إلينا جميعها .

ويُنْسب فى الفِهرست [٢] أيضا لابن إسحاق كتاب يسمى

---

(١) لا أعنى بهذا عناوين نسخة وستنفلد لابن هشام ، التى لم تؤخذ من ابن إسحاق ولا من ابن هشام ، بل قدمها نساخ متأخرون للنص . وإنما تتكون تقارير المحتويات التى أتكلم عنها من العبارات التى اعتاد أن يقدم بها ابن إسحاق الأخبار التى يذكرها .

(٢) ت . فلوجل ٩٢ ؛ ياقوت ، ت . مرجليوث ٦ : ٤٠١ .

« كتاب الخلفاء » . ويذكر الطبريُّ ابن إسحاق كثيرا بين رواته فى تاريخ الخلفاء الراشدين . ومن الواضح أنه تناول المغازى خاصة ، وأنشأ تاريخها الحولىّ ، ولكنه جمع كذلك أخبارا عن الثورة على عثمان ؛ وتنسب إليه روايات متناثرة تتناول حوادث العصر الأموى . ولكن الفقرات الباقية غير كافية لتقدرنا على تصور منهج « كتاب الخلفاء » لابن إسحاق .

* * *



الفصل الرابع

بعد ابن إسحاق
أبو معشر السندي

نرى لِزاما علينا أن نذكر معاصرًا صغيرًا لابن إسحاق ، حُفِظت لنا من « مغازيه » قطع عند الواقدىّ وابن سعد وغيرهما : وهو أبو معشر المعروف بالسندى ، ويبدو من لقبه أنه هو نفسه أو أحد آبائه جاء من السند إلى بلاد العرب . وإذا كان أبو نُعيم (١) محقا ، حين يقول دون أن يذكر مراجعه « إن أبا معشر سِندى ، وكان ألكن ؛ يقول : حدثنا محمد ابن قعب ، يريد كعب » ، فإننا يجب أن نستنتج أن أبا معشر ولد من أبوين غير عربيين ، ولكن لقب السندى يمكن اطلاقه على العربىّ المقيم فى السند ، لأن السند كانت من ولايات الخلافة العربية منذ عام ٩٢ هـ . ويقول حفيد أبى معشر ، داود بن محمد (٢) : إن جده كان أصله من اليمن ، مما يجعلنا نظن أن والد أبى معشر هاجر من السند إلى اليمن . ويؤكد الحفيد أن أبا معشر كان أبيض (٣) على حين يصفه أبو مُسْهِر بالسواد . ويبدو أن أبا معشر نفسه كان من قبيلة حنظلة ابن مالك (٤) من

---

(١) ياقوت ، تحقيق وستنفلد ٣ : ١٦٦ . والسمعانى : أنساب ٣١٣٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ١٠ : ٤٢١ . وقال داود بن محمد بن أبى معشر ، حدثنى أبى : أنه كان أصله من اليمن ... وكان أبيض أزرق سمينا . ح : كانت البصرة أيضا يطلق عليها فى بعض الأحيان اسم السند ، لمحلة بها كانت بهذا الاسم ، ويرجح أنها كانت يسكنها كثير من هؤلاء السنديين لأنها الميناء الذى يخرج منه المسافر إلى بلدهم ، فربما نسب أبو معشر إليها .

(٣) الذهبى ، تحقيق سخاو ، دراسات .

(٤) نفس المرجع ١٠ : وكان أبو معشر يذكر أنه من ولد حنظلة بن مالك .

جانب أمه . وكان اسمه فى الأصل عبد الرحمن بن الوليد ، كما يخبرنا [١] حفيد آخر له ، يسمى الحسين . وبعد خطفه وبيعه رقيقا فى المدينة سماه مواليه من بنى أسد نَجيحا [٢] . وما يسمى هنا بالخطف يظهر أن المراد به ، كما فى عبارة حفيده الآخر داود المذكور سابقا [٣] ، السبى « فى وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين » ، ثم صار أبو معشر فى يد أم موسى بنت منصور الحميرىّ ، امرأة الخليفة المنصور وأم الخليفة الهادى [٤] ، فأعتقته هذه المالكة الجديدة [٥] . وتقول مصادر أخرى إنه بدأ يشترى نفسه من حيازة امرأة (مكاتبة ، أى بدفع أقساط فى فترات محددة) فاشترت أم موسى ولاءه من المرأة وأعتقته [٦] . فصار مولى للعباسيين ، وكان يعلـــق على صلته بالبيـــت الحاكم من الأهمية أكثر مما يعلق عـــلى نسبه فى بنى حنظلة [٧] . وحـــــين قدم الخليفة المهدى إلى

---

(١) نفس المرجع : وقال أبو بكر الحسين بن محمد بن أبى معشر : حدثنى أبى قال : كان اسم أبى معشر ، قبل أن يسرق ، عبد الرحمن بن الوليد بن هلال .

(٢) نفس المرجع : فسرق فبيع بالمدينة ، فاشتراه قوم من بنى أسد ، فسموه نجيحا .

(٣) ابن حجر ١٠ : ٤٢١

(٤) الطبرى ٣ : ٤٢٣ : وكانت أم موسى [الحميرية] ولدت له (يعنى للمنصور) جعفرا والمهدى .

(٥) ابن حجر : نفس المرجع : ثم اشترى لأم موسى بن المهدى ، فأعتقته .

(٦) الفهرست ٩٣ : وكان مكاتبا لامرأة من بنى مخزوم وأعتق ؛ ابن سعد ٥ : ٣٠٩ : وكان مكاتبا لامرأة من بنى مخزوم ، فأدى وعتق ، فاشترت أم موسى بنت منصور الحميرية ولاءه ؛ والمقدسى ، تحقيق سخاو : دراسات ؛ ويقول البخارى : تاريخ ، إنه كان « مولى أم سلمة » .

(٧) المقدسى ١٠ : وقال لى : ولاؤنا فى بنى هاشم أحب إلى من نسبى فى بنى حنظلة .

المدينة للحج [١] استصحب أبا معشر معه إلى بغداد ، كما يخبرنا أبو معشر نفسه [٢] ، ودفع له ألف دينار ، وأمره بالحضور عنده وتفقيه من حوله . وقد تغير فى الأعوام الأخيرة قبل وفاته تغيرا شديدا ، واختلط عقله [٣] ، وتوفى عام ١٧٠ هـ [٤] فى بغداد ، فدفن فى المقبرة الكبيرة ، وصلى عليه هارون [٥] . وقد دفع بعضهم شهرة أبى معشر بالحديث ؛ يقول البخارى [٦] : « يخالف فى حديثه » . ويصفه ابن سعد [٧] بأنه : « كان كثير الحديث ضعيفا » ويذكر ابن حجر [٨] جمهورا من الأحكام ضده . ولكن روايته للمغازى مقبولة ؛ يصفه أحمد بن حنبل [٩] بأنه « بصيرفى المغازى » ، ويقول : أبو معشر [١٠] « له مكان فى العلم والتاريخ ، وتاريخه احتج به الأئمة ، وضعّفوه فى الحديث » .

---

(١) الطبرى ٣ : ٤٨٢ .

(٢) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢١ : وقدم المهدى فى سنة ستين ومئة ، فاستصحبه معه إلى العراق ؛ الذهبى ١٠ : إن المهدى قدم المدينة سنة ستين ومئة ، فأشخص أبا معشر معه إلى العراق ، وأمر له بألف دينار ، وقال : تكون بحضرتنا ، فتفقه من حولنا .

(٣) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢٢ : وتغير قبل أن يموت بسنتين تغيرا شديدا ؛ والذهبى ٢ ، الذى يذكر : حتى كان يخرج منه الريح ولا يشعر بها ؛ السمعانى ٣١٣ : وكان ممن اختلط فى آخر عمره ، وبقى قبل أن يموت سنين فى تغير شديد ، لا يدرى مايحدث به ، لكثرة المناكير فى روايته من قبل اختلاطه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٠٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٣ ؛ السمعانى ٣١٣ ؛ ابن حجر ١٠ : ٤٢١ ؛ يقول الفهرست ٩٣ إنه توفى فى أيام الهادى (الذى توفى عام ١٦٩ هـ) .

(٥) السمعانى ٣١٣ ؛ الذهبى ٢ .

(٦) تاريخ ١٩٩ .

(٧) ابن سعد ٥ : ٣٠٩.

(٨) تهذيب ١٠ : ٤٢٠ .

(٩) المقدسى ٩ .

(١٠) ابن حجر ١٠ : ٤٢٢ .

ويذكر الفِهرست [١] أن أبا معشر ألف « كتاب المغازى » ، وتوجد عدة قطع من ذلك الكتاب فى « كتاب المغازى » للواقدى ، الذى يذكره خاصة فى الأحوال التى يقدم فيها لأحد الفصول إسنادا يشمل جميع الرواة [٢] . ونلاحظ من المقتطفات فى ترجمة ابن سعد للنبى أن أبا معشر تناول قصة حياة النبى جميعها ؛ ويذكره ابن سعد فى قائمة من روى له المغازى ، وروى له تراجم الصحابة أيضا [٣] ؛ وكذلك يظهر اسمه فى الفصول الخاصة بأعوام النبى الأولى عند ابن سعد والطبرى [٤] . ويبدو أن أبا معشر ألف إلى جانب مغازيه « تاريخا » ، أى عرضا حوليا لحوادث العصر الإسلامى ، وقد وصل به إلى عام ١٧٠هـ ، وآخر حادث اقتبسه الطبرى من كتابه وفاة الخليفة الهادى التى وقعت فى ربيع عام ١٧٠ هـ ؛ وتوفى أبو معشر نفسه بُعيد ذلك . وعلى حين يذكر أبو معشر فى المغازى رواته ، نجده لا يستعمل أى إسناد فى الغالب ، إن لم يكن دائما ، فى التاريخ ، وقد تنفعنا الفقرة الآتية وهى عند ابن سعد [٥] عن الخليفة الأموى عبد الملك ، مثالا لتناوله الحوادث التاريخية فى « التاريخ » ؛ قال : « مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، وله ستون سنة . فكانت ولايته من يوم بويع إلى يوم توفى إحدى وعشرين سنة وشهرًا ونصفًا . وكان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن

---

(١) تحقيق فلوجل ٩٣ .

(٢) الفقرات فى فهرس ولهوزن . وفى ولهوزن ٣٢١ يسأله الواقدى عن خبر رواه له راو آخر .

(٣) ابن سعد ٢ : ١ ؛ ٣ : ٢١ .

(٤) الطبرى ١ : ١١٩٥

(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ وما بعدها ؛ الطبرى ٢ : ١١٧٢ .

الزبير ، ويُسَلم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب . وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، واجتماع الناس عليه ، ثلاثَ عَشْرَة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال » .

الواقدى

ينتمى محمد بن عمر الواقدى إلى الموالى الذين كانوا يعيشون فى المدينة مثل أبى معشر . ويلقب بالواقدىّ لأن جده كان يسمى واقدا ، وكان يلقب أيضا الأسلمىّ [١] لولائه لعبد الله بن بُرَيْدة من بنى أسلم المدنيين . وولد الواقدى فى المدينة عام ١٣٠ هـ تبعا لقول تلميذه ابن سعد ، أى فى خلافة مروان الثانى [٢] ، وكانت أمه من أحفاد سائب خاثر [٣] ، الذى كان أول من غنى قصائد عربية فى المدينة ، والذى حضر والده من فارس إلى المدينة أسير حرب ، ولذلك يجرى فى عروق الواقدىّ بعض الدم غير العربىّ .

---

(١) ابن سعد ٧ : ٧٧ : محمد بن عمر بن واقد الأسلمى مولى عبد الله بن بريدة الأسلمى .

(٢) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : قال محمد بن سعد : أخبرنى (يعنى محمد بن عمر) أنه ولد فى سنة ثلاثين ومئة ؛ نفس المرجع ٧ : ٧٧ : وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومئة فى آخر خلافة مروان بن محمد .

(٣) الأغانى ٧ : ١٨٨ : وزعم ابن خرداذبه : أن أم محمد بن عمر الواقدى ... بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر . ح : لا أستطيع موافقة المؤلف على رأيه هذا فى سائب خاثر ، فهو ليس أول من غنى القصائد العربية ، وإنما هو أول من ابتكر نوعا خاصا من الغناء فى الحجاز ، وإن كانت الروايات تختلف عن ذلك النوع ، وأكتفى خوف التطويل باقتباس ماذكره أبو الفرج فى الأغانى (٧ : ١٨٨) : « قال ابن الكلبى وأبو غسان وغيرهما : هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به ... قال ابن الكلبى : وهو أول صوت غنى به فى الإسلام فى الغناء العربى المتقن الصنعة ... وقال ابن الكلبى : سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل ... » .

واستمع الواقدى فى بلدته إلى مجالس أشهر شراح الحديث ، وحينما زار الخليفةُ هارون الرشيد المدينة فى حجه – ولعله فى عام ١٧٠[١] – دلوه على الواقدى ، ليرشده إلى المواضع المقدسة فى المدينة . ولدينا خبر واف عن هذا الخبر يرويه الواقدى نفسه ، حفظه لنا تلميذه ابن سعد [٢] :

« حج أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد : ارتَدْ لى رجلا عارفا بالمدينة والمشاهد ، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى – ﷺ – ومن أىِّ وجه كان يأتيه ؟ ، وقبور الشهداء . فسأل يحيى بن خالد ، فكلٌّ دله علىّ ، فبعث إلىّ ، فأتيته ، وذلك بعد العصر . فقال لى : ياشيخ ، إن أمير المؤمنين – أعزه الله – يريد أن تصلىَ عشاء الآخرة فى المسجد ، وتمضىَ معنا إلى هذه المشاهد ، فتوقفَنا عليها ، والموضع الذى يأتى جبريل – عليه السلام – وكن بالقرب . فلما صليت عشاء الآخرة إذا أنا بالشموع قد خرجت ، وإذا أنا برجلين على حمارين ، فقال يحيى : أين الرجل ؟ فقلت : ها أنا ذا . فأتيت به إلى دور المسجد ، فقلت : هذا الموضع الذى كان جبريل يأتيه . فنزلا عن حماريهما ، فصليا ركعتين ، ودعَوَا الله ساعة ، ثم ركبا وأنا بين أيديهما ، فلم أدع موضعا من المواضع ، ولا مشهدا من

---

(١) الطبرى ٣ : ٦٠٥ . وحج هارون للمرة الثانية فى عام ١٨٠ ؛ الطبرى ٣ : ٦٤٥ : وفيها (يعنى سنة ١٨٠) صار الرشيد إلى البصرة منصرفه من مكة .

(٢) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها : وحدثنى أحمد بن مسبح قال : حدثنى عبد الله بن عبيد الله قال : قال لى الواقدى : حج أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد .

المشاهد إلا مررتُ بهما عليه ، فجعلا يصليان ، ويجتهدان فى الدعاء ، فلم نزل كذلك حتى وافينا المسجد ، وقد طلع الفجر ، وأذن المؤذن ؛ فلما صارا إلى القصر ، قال لى يحيى بن خالد : أيها الشيخ ، لا تبرح . فصليت الغداة فى المسجد ، وهو على الرحلة إلى مكة . فأذن لى يحيى ابن خالد عليه ، بعد أن أصبحت ، فأدنى مجلسى وقال لى : إن أمير المؤمنين – أعزه الله – لم يزل باكيا ، وقد أعجبه مادللته عليه ، وقد أمر لك بعشرة آلاف درهم . فإذا بدرة مبدّرة قد دفعت إلىّ ، وقال لى : ياشيح ، خذها مبارك لك فيها ، ونحن على الرحلة اليوم ، ولا عليك أن تلقانا حيث كنا واستقرت بنا الدار ، إن شاء الله . ورحل أمير المؤمنين ، وأتيت منزلى ، ومعى ذلك المال ، فقضينا منه دينا كان علينا ، وزوجت بعض الولد ، واتسعنا » .

وقد انتفع الواقدىّ بتلك الصلة التى أنشأها مع العباسيين ، فى عام ١٨٠ هـ [١] ، حين ضاقت به الحال ، وذهب إلى بغداد ، ومنها إلى الرَّقة ، حيث كان الخليفة هارون فى ذلك الوقت [٢] . وحفظ ابن سعد خبرا مفصلا عن هذه الرحلة إلى الخليفة مرويا عن الواقدىّ نفسه [٣] :

« ثم إن الدهر عضّنا فقالت لى أم عبد الله : » امرأة الواقدى

---

(١) ابن سعد ٧ : ٧٧ : وكان من أهل المدينة ، فقدم بغداد فى سنة ثمانين ومئة ، فى دين لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقة .

(٢) الطبرى ٣ : ٦٤٦ : ثم شخص (يعنى هارون الرشيد) من مدينة السلام إلى الرقة (سنة ١٨٠) .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها .

وكانت كنيته أبا عبد الله : « يا أبا عبد الله ، ماقعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك ، وسألك أن تصير إليه حيث استقرت به الدار . فرحلت من المدينة ، وأنا أظن القوم بالعراق . فأتيت العراق ، فسألت عن خبر أمير المؤمنين ، فقالوا لى : هو بالرَّقة . فأردت الانصراف إلى المدينة ، فنظرت فإذا أنا بالمدينة مختل الحال ، فحملت نفسى على أن أصير إلى الرقة .

فصرت إلى موضع الكِرا ، فإذا أنا بعدة فتيان من الجند يريدون الرَّقة ، فلما رأونى قالوا : أيها الشيخ ، أين تريد ؟ فخبرتهم بخبرى ، وأنى أريد الرقة ، فنظرنا فى كرا الجمالين ، فإذا هى تُضْعِف علينا ، فقالوا : أيها الشيخ ، هل لك أن تصير إلى السفن ، فهو أرفق بنا ، وأيسر علينا من كرا الجمال . فقلت لهم : ما أعرف من هذا شيئا ، والأمر إليكم . فصرنا إلى السفن فاكترينا ، فما رأيت أحدا كان أبر بى منهم ، ولا أشفق ولا أحوط ، يتكلفون من خدمتى وطعامى ما يتكلفه الولد من والده ، حتى صرنا إلى موضع الجَواز بالرقة ، وكان الجواز صعبا جدا ، فكتبوا إلى قائدهم بِعدادهم ، وأدخلونى فى عِدادهم .

فمكثنا أياما ، ثم جاءنا الإذن بأسمائنا ، فجزت مع القوم ، فصرت إلى موضع لهم فى خان نزول ، فأقمت معهم أياما ، وطلبت الإذن على يحيى بن خالد ، فصعب علىّ ، فأتيت أبا البَخْتَرىّ » أى وهب بن وهب الذى كان قاضيا حينئذ ، « وهو بى عارف ، فلقيته فقال لى : يا أبا عبد الله ، أخطأت على نفسك وغُرِّرت ، ولكن لستُ أدع أن أذكرك له . وكنت أغدو إلى بابه وأروح ، فقلَّت نفقتى ، واستحييت

من رُفقائى ، وتخرَّقتْ ثيابى ، وأيِسْتُ من ناحية أبى البخترىّ . فلم أخبر رفقائى بشىء ، وعدت منصرفا إلى المدينة .

فمرة أنا فى سفينة ، ومرة أمشى حتى وردت السَّيْلَحين . فبينا أنا مستريح في سوقها ، إذا أنا بقافلة من بغداد ، فسألت : من هم ؟ فأخبرونى أنهم من أهل مدينة الرسول - ﷺ - ، وأن صاحبهم بكّار الزُّبَيْرى ، أخرجه أمير المؤمنين ليوليه قضاء المدينة ، والزبيرىّ أصدق الناس لى . فقلت : أدعُه حتى ينزل ويستقر ، ثم آتيه ، فأتيته بعد أن استراح ، وفرغ من غَدائه ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فسلمت عليه ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ماذا صنعت فى غيبتك ؟ فأخبرته بخبرى وبخبر أبى البخترىّ ، فقال لى : أما علمت أن أبا البخترى لا يحب أن يذكرك لأحد ، ولا ينبّه باسمك ، فما الرأى ؟ فقلت : الرأى أن أصير إلى المدينة . فقال : هذا رأى خطأ ، خرجتَ من المدينة على ماقد علمتَ ، ولكن الرأى أن تصير معى ، فأنا الذاكر ليحيى أمرك .

فركبت مع القوم حتى صرت إلى الرقة . فلما عَبَرنا الجواز قال لى : تصير معى ؟ فقلت : لا ، أصير إلى أصحابى ، وأنا مبكر عليك غدا ، لنصير جميعا إلى باب يحيى بن خالد ، إن شاء الله . فدخلتُ على أصحابى ، فكأنى وقعت عليهم من السماء ، ثم قالوا لى : ياأبا عبد الله ، ماكان خبرك ؟ فقد كنا فى غم من أمرك ؟ فخبرتهم بخبرى ، فأشار علىَّ القوم بلزوم الزبيرى ، وقالوا : هذا طعامك وشرابك ، لاتهتمّ له .

فغدوت بالغداة إلى باب الزبيرىّ ، فخُبِّرت بأنه قد ركب إلى باب يحيى بن خالد ، فأتيت باب يحيى بن خالد ، فقعدت مليا ، فإذا

صاحبى قد خرج ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، أُنسيتُ أن أذاكره أمرك ، ولكن قف بالباب حتى أعود إليه . فدخل ثم خرج إلىّ الحاجب ، فقال لى : ادخل . فدخلت عليه فى حالة خسيسة ، وذلك فى شهر رمضان ، وقد بقى من الشهر ثلاثة أيام أو أربعة . فلما رآنى يحيى بن خالد فى تلك الحال ، رأيت أثر الغم فى وجهه ، وسلم علىّ وقرّب مجلسى ، وعنده قوم يحادثونه ، فجعل يذاكرنى الحديث بعد الحديث ، فانقطعتُ عن إجابته ، وجعلت أجىء بالشئ ليس بالموافق لما يسأل ، وجعل القوم يجيبون بأحسن الجواب وأنا ساكت .

فلما انقضى المجلس ، وخرج القوم خرجت ، فإذا خادم ليحيى ابن خالد قد خرج ، فلقينى عند الستر ، فقال لى : إن الوزير يأمرك أن تُفْطِر عنده العشية . فلما صرت إلى أصحابى خبرتهم بالقضية ، وقلت : أخاف أن يكون غَلِط بى . فقال لى بعضهم : هذه رغيفان وقطعة جُبن ، وهذه دابتى ، تركب والغلام خلفك ، فإذ أذن لك الحاجب بالدخول دخلت ، ودفعتَ مامعك إلى الغلام ، وإن تكن الأخرى صرتَ إلى بعض المساجد . فأكلتَ مامعك وشربتَ من ماء المسجد .

فانصرفتُ فوصلتُ إلى باب يحيى بن خالد ، وقد صلى الناس المغرب . فلما رآنى الحاجب قال : ياشيخ ، أبطأتَ وقد خرج الرسول فى طلبك غير مرة . فدفعتُ ماكان معى إلى الغلام ، وأمرته بالمقام . فدخلت فإذا القوم قد توافَوا ، فسلمتُ وقعدت ، وقُدّم الوَضوء فتوضأنا ، وأنا أقربُ القومِ إليه ، فأفطرنا ، وقَرُبَتْ عشاء الآخرة ، فصلى بنا ، ثم أخذنا مجالسنا ، فجعل يحيى يسألنى وأنا منقطع ؛ والقوم يجيبون بأشياء هى عندى على خلاف مايجيبون .

فلما ذهب الليل ، خرج القوم ، وخرجت خلف بعضهم ، فإذا غلام قد لحقنى ؛ فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه قابلة ، قبل الوقت الذى جئت فيه يومَك هذا . وناولنى كيسا ماأدرى مافيه إلا أنه ملأنى سرورا ، فخرجت إلى الغلام ، فركبت ومعى الحاجب ، حتى صيَّرنى إلى أصحابى ، فدخلت عليهم ، فقلت : اطلبوا لى سراجا ، ففَضْضت الكيس فإذا دنانير ، فقالوا لى : ماكان ردُّه عليك ؟ فقلت : إن الغلام أمرنى أن أوافيه قبل الوقت الذى كان فى ليلتى هذه . وعددت الدنانير فإذا خمس مئة دينار ، فقال لى بعضهم : علىَّ شراء دابتك . وقال آخر : علىَّ السَّرْج واللجام وما يُصْلحه . وقال آخر : علىَّ حمّامك وخضاب لحيتك وطيبك . وقال آخر : علىَّ شراء كسوتك ؛ فانظر فى أىِّ الزى القوم ؟ فعددت مئة دينار ، فدفعتها إلى صاحب نفقتهم ، فحلف القوم بأجمعهم : إنهم لا يرزءوننى دينارا ولا درهما .

وغدوا بالغداة ، كل واحد على ماانتدب لى فيه . فما صليت الظهر إلا وأنا من أنبل الناس ، وحملت باقىَ الكيس إلى الزُّبَيرى . فلما رآنى بتلك الحال سُرَّ سرورا شديدا ، ثم أخبرته الخبر ؛ فقال لى : إنى شاخص إلى المدينة . فقلت : نعم ، إنى قد خلَّفت العيال على ماقد علمت . فدفعت إليه مئتى دينار يوصلها إلى العيال . ثم خرجت من عنده ، فأتيت أصحابى بجميع ماكان معى من الكيس .

ثم صليت العصر ، فتهيأت بأحسن هيئة ؛ ثم حضرت إلى باب يحيى بن خالد ، فلما رآنى الحاجب قام إلىَّ ، فأذن لى ، فدخلت على يحيى ، فلما رآنى فى تلك الحال ، نظرت إلى السرور فى وجهه ؛ فجلست فى مجلسى ؛ ثم ابتدأت فى الحديث الذى كان يذاكرنى به والجواب فيه . وكان الجواب على غير ماكان يجيب به القوم ؛ فنظرت

إلى القوم وتقطيبهم لى وأقبل يحيى يسائلنى عن حــديث كذا وحديث كذا ، فأجيب فيما يسألنى والقوم سكوت ، مايتكلم أحد منهم بشيء .

فلما حضرت المغرب تقدم يحيى فصلى ، ثم أُحضر الطعام فتعشينا ، ثم صلى بنا يحيى عشاء الآخرة ، وأخذنا مجالسنا ، فلم نزل فى مذاكرة ، وجعل يحيى يسأل بعض القوم فينقطع . فلما كان وقت الانصراف انصرف القوم وانصرفت معهم ، فإذا الرسول قد لحقنى ، فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه فى كل يوم فى الوقت الذى جئت فيه يومَك هذا ، وناولنى كيسا . فانصرفت ومعى رسول الحاجب ، حتى صرت إلى أصحابى ، وأصبت سراجا عندهم ، فدفعت الكيس إلى القوم ، فكانوا به أشد سرورًا منى .

فلما كان الغد ، قلت لهم : أعِدُّوا لى منزلا بالقرب منكم ، واشتروا لى جارية ، وغلاما خبازا ، وأثاثا ، ومتاعا . فلم أصل الظهر إلا وقد أعدوا لى ذلك ، وسألتهم أن يكون إفطارهم عندى ، فأجابوا إلى ذلك بعد صعوبة شديدة .

فلم أزل آتى يحيى بن خالد ، فى كل ليلة فى الوقت ، وكلما رآنى ازداد سرورا . فلم يزل يدفع إلىَّ كل ليلة خمس مئة دينار . حتى كان ليلة العيد ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، تزين غدا لأمير المؤمنين بأحسن زى من زى القضاة ، واعترِض له . فإنه يسألنى عن خبرك فأخبره . فلما كان صبيحة يوم العيد ، خرجت فى أحسن زى ، وخرج الناس ، وخرج أمير المؤمنين إلى المصلى ، فجعل أمير المؤمنين يلحظنى ، فلم أزل فى الموكب . فلما كان بعد انصرافه ، صرت إلى باب يحيى بن خالد ،

ولحقنا يحيى بعد دخول أمير المؤمنين منزله ، فقال لى : يأأبا عبد الله ، ادخل بنا ، فدخلت ودخل القوم ، فقال لى : يأأبا عبد الله ، مازال أمير المؤمنين يسألنى عنك ، فأخبرته بخبر حجنا ، وأنك الرجل الذى سايرته تلك الليلة ، وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، وأنا مُتَنَجِّزُها لك غدا إن شاء الله .

ثم انصرفت يومى ذلك ، فدخلت من الغد على يحيى بن خالد ، فقلت : أصلح الله الوزير حاجة عرضت ، وقد قضيت على الوزير – أعزه الله – بقضائها . فقال لى : وماذلك ؟ فقلت : الإذن إلى منزلى ، فقد اشتد الشوق إلى العيال والصبيان . فقال لى : لاتفعل . فلم أزل أنازله حتى أذن لى ، واستخرج لى الثلاثين ألف درهم . وهُيِّئَتْ لى حَرّاقة [1] بجميع مافيها ، وأمر أن يُشْترى لى من طرائف الشام ، لأحمله معى إلى المدينة ، وأمر وكيله بالعراق أن يكترى لى إلى المدينة ، لا أكلَّف نفقة دينار ولا درهم . فصرت إلى أصحابى فأخبرتهم بالخبر ، وحلفت عليهم أن يأخذوا منى ما أصلهم به ، فحلف القوم أنهم لا يرزءوننى دينارا ولا درهما . فوالله ما رأيت مثل أخلاقهم ، فكيف أُلام على حبى ليحيى بن خالد ؟ » .

وتدلنا هذه الكلمات الأخيرة على أن الواقدى لم يرو هذه القصة إلا بعد نكبة يحيى (١٨٧ هـ) ؛ لأنه لم يكن بحاجة للخوف من لومه على حب يحيى قبل هذه النكبة . ويتذكر الواقدى فى موضع آخر هبات يحيى مع كل عرفان بجميلها .

(١) الحراقة : نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر – ح .

ونذكر هنا مثالا آخر على استعداد يحيى للمساعدة ، حفظه أيضا تلميذه ابن سعد [١] ، ويمكننا فى نفس الوقت من إلقاء نظرة على تصور الناس للصداقة فى ذلك العصر :

« حدثنى عبد الله بن عبيد الله ، قال : كنت عند الواقدى جالسا إذ ذُكِرَ يحيى بن خالد بن بَرْمك ، قال : فترحم عليه الواقدى ، فأكثر الترحّم ؛ قال : فقلنا له : ياأبا عبد الله ، إنك لتُكْثر الترحّم عليه ؟ قال : وكيف لا أترحم على رجل أُخبرك عن حاله : كان قد بقى علىّ من شهر شعبان أقل من عشرة أيام ، وما فى المنزل دقيق ، ولا سويق ، ولا عَرَض من عروض الدنيا . فميزت ثلاثة من إخوانى فى قلبى ، فقلت : أُنْزِل بهم حاجتى . فدخلتُ على أم عبد الله ، وهى زوجتى ، فقالت : ماوراءك ، ياأبا عبد الله ؟ وقد أصبحنا وليس فى البيت عرَض من عروض الدنيا : من طعام ، أو سويق ، أو غير ذلك ؛ وقد ورد هذا الشهر ؟ فقلت لها : قد ميزت ثلاثة من إخوانى أُنزل بهم حاجتى . فقالت : مَدَنيون أو عراقيون ؟ قال : قلت : بعض مدينى ، وبعض عراقى . فقالت : اعْرِضْهم علىّ ، فقلت لها : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو يسار ، إلا أنه مَنّان ، لا أرى لك أن تأتيه ؛ فَسَمِّ الآخر . فسميت الآخر ، فقلت : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو مال إلا أنه بخيل ، لا أرى لك أن تأتيه . قال : فقلت : فلان ، فقالت رجل كريم حسيب لاشئ عنده ، ولا عليك أن تأتيه .

قال : فأتيته فاستفتحت عليه الباب ، فأُذن لى عليه . فدخلت

---

(١) ابن سعد ٥ : ٣١٩ .

فرحب وقرب ، وقال لى : ماجاء بك أبا عبد الله ؟ فأخبرته بورود الشهر وضيق الحال ، قال : ففكر ساعة ، ثم قال لى : ارفع ثِنْىَ الوسادة ، فخذ ذلك الكيس ، فَطهّرْه واستنفقه ؛ فإذا هى دراهم مكحّلة . فأخذت الكيس ، وصرت إلى منزلى ، فدعوت رجلا كان يتولى شراء حوائجى ، فقلت : اكتب من الدقيق عشرة أقفزة ، ومن الأرز قفيزا ، ومن السكر كذا ، حتى قصَّ جميع حوائجه .

فبينا نحن كذلك إذ سمعت دق الباب ، فقلت : انظروا من هذا ؟ فقالت الجارية : هذا فلان بن فلان بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب . فقلت : ائذنى له . فقمت له عن مجلسى ، ورحبت به وقربت ، وقلت له : يابن رسول الله ؛ ماجاء بك ؟ فقال لى : ياعمّ ، أخرجنى ورود هذا الشهر وليس عندنا شئ . ففكرت ساعة ، ثم قلت له : ارفع ثِنْى الوسادة ، فخذ الكيس بما فيه . فأخذ الكيس . ثم قلت لصاحبى : اخرج ، فخرج . فدخلتْ أم عبد الله ، فقالت لى : ماصنعت فى حاجة الفتى ؟ فقلت لها : دفعتُ إليه الكيس بأسرِه . فقال : وُفِّقْتَ وأحسنت .

ثم فكرتُ فى صديق لى بقرب المنزل ، فانتعلت وخرجت إليه . فدقَقْتُ الباب ، فأذن لى . فدخلت فسلم علىّ ورحب وقرب ، ثم قال لى : ماجاء بك أبا عبد الله ؟ فخبَّرته بورود الشهر وضيق الحال . ففكر ساعة ، ثم قال لى : ارفع ثِنى الوسادة ؛ فخذ الكيس ؛ فخذ نصفه ، وأعْطِنا نصفه . فإذا كيسى بعينه ، فأخذت خمس مئة درهم ، ودفعت إليه خمس مئة . وصرت إلى منزلى ، فدعوت الرجل الذى كان يلى شراء حوائجى ، فقلت له : اكتب خمسة أقفزة دقيق ... فكتب لى جميع ماأردت من حوائجى .

فبينا أنا كذلك إذا أنا بداقٍّ يدق الباب ، فقلت للخادم : انظرى من هذا ؟ فخرجتْ ثم رجعت إلىّ فقالت : خادم نبيل . فقلت لها : ائذنى له فنزل فإذا كتاب من يحيى بن خالد يسألنى المصير إليه فى وقته ذلك . فقلت للرجل : اخرج ، ولبست ثيابى ، وركبت دابتى ، ثم مضيت مع الخادم : فأتيت منزل يحيى بن خالد رحمه الله ، فدخلت عليه وهو جالس فى صحن داره ، فلما رآنى وسلمتُ عليه ، رحَّب وقرب ، وقال : ياغلام ، مِرْفَقة ، فقعدت إلى جانبه ، فقال لى : أبا عبد الله ، تدرى لِمَ دعوتك ؟ فقلت : لا . فقال : أسهرتْنى ليلتى هذه فكرة فى أمرك ، وورود هذا الشهر وماعندك . فقلت : أصلح الله الوزير ، إن قصتى تطول . فقال لى : إن القصة كلما طالت كان أشهى لها ، فخبرتُه بحديث أم عبد الله ، وحديث إخوانى الثلاثة ، وما كان من ردّها لهم ، وخبرته بحديث الطالبىّ ، وخبر أخى الثانى المواسى له بالكيس ، فقال : ياغلام ؛ دواة . فكتب رقعة إلى خازنه ، فإذا كيس فيه خمس مئة دينار ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، استعن بهذا على شهرك . ثم رفع رقعة إلى خازنه ، فإذا صُرَّة فيها مئتا دينار . فقال : هذا لأم عبد الله لجزالتها وحسن عقلها ؛ ثم رفع رقعة أخرى ، فإذا مئتا دينار ، فقال هذا للطالبى . ثم رفع رقعة أخرى فإذا صرة فيها مئتا دينار ، فقال : هذا للمواسى لك . ثم قال لى : انهض أبا عبد الله فى حفظ الله . قال : فركبت من فورى ؛ فأتيت صاحبى الذى واسانى بالكيس ؛ فدفعت إليه المئتى دينار . وخبَّرته بخبر يحيى بن خالد ، فكاد يموت فرحا ؛ ثم أتيت الطالبى ، فدفعت إليه الصُّرة ؛ وأخبرته بخبر يحيى بن خالد ، فدعا وشكر ؛ ثم دخلت منزلى ، فدعوت أم عبد الله ، فدفعت

إليها الصرة ، فدعت وجزت خيرا . فكيف أُلام على حب البرامكة : يحيى بن خالد خاصة ؟ » .

ويروى المسعودى [١] ، وياقوت [٢] ، وابن خَلّكان [٣] نفس القصة مع بعض اختلافات ؛ فهم يقولون : إنها حدثت فى عهد الخليفة المأمون ، ولكن خبر ابن سعد يَعرض أقدم حديث مرويّ عن الواقدى نفسه .

وتقول رواية لايُعرف راويها [٤] : إن هارون الرشيد عين الواقدىّ قاضيا على الجانب الشرقى من بغداد ، ويظهر من خبر آخر أنه كان قاضيا فى عام ١٨٧ هـ : أى فى عهد هارون [٥] . ولا تَعرف أقدم التراجم شيئا من ذلك ، ولا تذكر إلا أن المأمون عين الواقدى قاضى عسكر المهدى أو الرصافة [٦] (فى الجانب الشرقى من بغداد) [٧] بعد دخوله (الواقدىّ) بغداد فى أوائل عام ٢٠٤ هـ [٨] ، وكان المأمون يثق

(١) مروج . طبع القاهرة ٢ : ٢٦٢ .

(٢) ت . مرجليوث ٧ : ٥٥ .

(٣) طبع بولاق ١ : ٦٤٠ وما بعدها .

(٤) ياقوت ، مرجليوث ٧ : ٥٦ .

(٥) ابن حجر : ٣٦٤ .

(٦) الطبرى ٣ : ١٠٣٧ .

(٧) ياقوت ، ت . وستنفلد ٣ : ٦٧٧

(٨) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٨ ؛ ياقوت ، ت . مرجليوث ٧ : ٥٥ ؛ السمعانى ٥٧٧ . لايقول ابن قتيبة ، كما يدعى ابن خلكان ١ : ٧٢٣ ، أن الواقدى كان قاضيا على الجانب الغربى من بغداد ، وإنما يقول إن قاضى الجانب الغربى من المقابر صلى عليه . ابن سعد ٥ : ٣٢١ .

به . ويروى أنه حين تقدم منه ليسأله قضاء ديونه [١] – التى كان سخاء الواقدىّ يوقعه فيها على الدوام [٢] – كتب الخليفة على هامش الرقعة : « فيك خَلتان : سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ماملكت . والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك ؛ وقد أمرنا لك بضعف ماسألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك ، فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد فى بسطة يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة ، وأنت حدثتنى حين كنت على قضاء الرشيد ، أن النبى – ﷺ – قال للزبير : يازبير ، إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، يُنزل الله – سبحانه – للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كَثَّر كُثِّر له ، ومن قلَّل قُلِّل عليه . قال الواقدىّ : وكنت نسيت الحديث ، وكان تذكيره لى به أعجب من صلته .

وتُوفى الواقدىُّ فى خلافة المأمون ، وقد عهد إليه الواقدى فى تنفيذ وصيته [٣] فى أواخر عام ٢٠٧ هـ ، وله من العمر ٧٨ عاما ، ودفن فى مقابر الخيزُران [٤] .

وكان الواقدىّ مشغوفا بجمع المعارف المنتشرة فى عصره ، فنسخ جميع الكتب التى أمكنه الحصول عليها . ويروى أنه خلف بعد وفاته ست مئة قِمَطْر كتب [٥] ، من نسخ غلامين مملوكين كانا يكتبان الليل

---

(١) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ : وكان جوادا كريما مشهورا بالسخاء .

(٢) ياقوت ، ت . مرجليوث ٧ : ٥٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : وأوصى محمد بن عمر إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فقبل وصيته ، وقضى دينه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٢١ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : ٢٥٨ ؛ الفهرست ٩٨ .

(٥) الفهرست ٩٨ .

والنهار . أضف إلى ذلك أنه اشترى كتبا بألفى دينار وكانت هذه الكتب أساس نشاطه الأدبى الخاص ، الذى شمل ميادين مختلفة . ويَحْوِى الفهرست قائمة بمؤلفاته تتكون من ٢٨ كتابا [١] ، ويعطينا ياقوت فى « معجم الأدباء » قائمة توافقها فى الأمور الجوهرية [٢] . وهاك أسماء هذه الكتب .

(أ) كتب فى الفقه ، والقرآن ، والحديث ... إلخ

(١) كتاب الاختلاف : اختلاف آراء فقهاء المدينة والكوفة فى الشُّفعة ، والصدقة ، والرُّقْبَى ، والأبواب الأخرى من الفقه [٣] .

(٢) كتاب غلط الحديث .

(٣) كتاب السنة والجماعة وذم الهوى [٤] .

(٤) كتاب ذكر القرآن .

(٥) كتاب الأدب .

(٦) كتاب الترغيب فى علم القرآن [٥] .

(ب) الكتب التاريخية :

(٧) التاريخ الكبير .

---

(١) ت . فلوجل ٩٨ .

(٢) ٧ : ٥٨ .

(٣) وذكر الفهرست أبوابا أخرى .

(٤) يضيف الفهرست : وترك الخوارج فى الفتن .

(٥) فى الأصل : الرغيب فى علم القرآن وغلط الرجال .

(٨) التاريخ والمغازى والبعث .
(٩) أخبار مكة .
(١٠) أزواج النبى - ﷺ - .
(١١) وفاة النبى - ﷺ - .
(١٢) السَّقيفة وبيعة أبى بكر .
(١٣) سِيرة أبى بكر ووفاته .
(١٤) الرِّدة والدار .
(١٥) السِّيرة .
(١٦) أمر الحبشة والفيل .
(١٧) حرب الأَوْس والخَزْرج .
(١٨) المَناكِح [١] .
(١٩) يوم الجمل .
(٢٠) صِفِّين .
(٢١) مولد الحسن والحسين .
(٢٢) مَقتل الحسين [٢] .
(٢٣) فتوح الشام .
(٢٤) فتوح العراق .
(٢٥) ضرب الدنانير والدراهم .

---

(١) قد يكون كتابا عن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء ، ولكن لابد أن يكون رسالة تاريحية مادام ياقوت وضعه بين الكتب التاريخية .

(٢) يذكر الفهرست أيضا كتابا يسمى « مقتل الحسن » .

(٢٦) مـــراعى قريش والأنصار فى القطائع ، ووضع عمر الدواوين .
(٢٧) الطبقات .
(٢٨) تاريخ الفقهاء [١] .

ويذكر ابن سعد [٢] أيضا ، بالإضافة إلى الكتب المسماة فى هذه القائمة ، « كتاب طُعَم النبىّ » ، ومن الواضح أنه يتناول الدخْل المفروض لزوجات النبى وأشخاص آخرين من أرض خيبر ؛ وربما لا يكون غير فصل من « المراعى » ، ولهذا السبب لم يذكر فى الفهرست ولا عند ياقوت . ويعالج كتابان من الكتب التاريخية (السادس عشر والسابع عشر ، وربما التاسع أيضا) موضوعات من التاريخ الجاهلى لمكة والمدينة ؛ وتتناول أربعة (٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥) تاريخ النبى أو نواحى خاصة منه ، أما الكتب الباقية فتتناول أجزاء من تاريخ الإسلام بعد وفاة النبى . وقد حُفِظت مقتطفات من كثير من هذه الكتب عند مؤرخين مختلفين ، ولدينا من « كتاب الردة والدار » للواقدىّ عدة مقتطفات فى « كتاب غزوات » ابن حُبيش (المتوفَّى عام ٥٨٤ هـ) الذى لم يطبع بعد ، وأكثَرَ « ليون كيتانى دوق سرمونت » من استخدامه فى كتابه « حوليات الإسلام » فى فصل الردة – أى ثورة القبائل العربية بعد وفاة النبى – وكان كتاب الواقدى هذا مشهورا فى

---

(١) يزيد الفهرست فى النهاية : وتصانيف القبائل ومراتبها وأنسابها .

(٢) ٨ : ٣٢

الأندلس سابقا ، ويُذكر مثلا فى فَهرسة ابن خير [١] (المتوفى عام ٥٧٥هـ) . ويسمى هناك « كتاب الرِّدة » ، على حين يظهر فى الكتب الأخرى تحت عنوان « كتاب الردة والدار » . ومن المحتمل أنهم يَعنون بالدار « يوم الدار » ، وهو مايعبرون به عادة عن يوم مقتل الخليفة عثمان . وليس من الواضح لدينا كيفية معالجة الواقدى للردة فى عام ١١ هـ مع يوم الدار فى عام ٣٥ هـ فى كتاب واحد . وربما كانا كتابين مستقلين فى الأصل ، ضُما خطأ فى كتاب واحد فيما بعد [٢] ؛ وتوجد عِدَّة أخبار للواقدىّ عند الطبرىّ [٣] ، ويظن أنها من « كتاب الدار » .

ومن الواضح أن « التاريخ الكبير » كان كتابا حُصِرت فيه جميع أحداث التاريخ الإسلامى المهمة على حسب سِنى وقوعها ، ووصل فيه إلى عام ١٧٩ هـ على الأقل [٤] وقد حفظ الطبرى قطعا عديدة من « التاريخ » الذى يبدو أن الواقدىّ أتمه قبل إقامته فى بغداد .

ويزوّدنا « كتاب الطبقات » للواقدىّ – وكان الواقدىّ أول من ألف مثل هذا الكتاب بعد الهيثم بن عدىّ [٥] – بأساس كتاب تلميذه ابن سعد المماثل ، ويظهر من الأخير أن الواقدىّ وجه أكثر عنايته إلى طبقات الصحابة وسُلالاتهم فى المدينة ، وإلى طبقات محدِّثى الكوفة

---

(١) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٣٧ .

(٢) كيتانى : حوليات الإسلام Annali dell' Islam سنة ١١ $ ٧٠

(٣) الطبرى : ١ : ٢٩٤١ – ٣٠٦٠ .

(٤) الطبرى ٣ : ٦٣٩ .

(٥) لث Loth فى مجلة جماعة المستشرقين الألمان ، المجلد ٢٣ ، ص ٦٠٣ .

والبصرة ، وإن كان ينقصه بعض النظام [١] . وهكذا يمكننا أن ننظر إلى « كتاب الطبقات » للواقدى على أنه تكملة لكتبه الأخرى المخصَّصة لحياة النبى . واستخدم ابن سعد من هذه الكتب ، الكتبَ التى تتناول أزواج النبى ووفاته فى الفصول الموافقة لها من كتابه . واستخدم فصلا آخر يورد فيه رسائل النبى مجتمعة ، ولكنه غير مذكور مثل الكتب المستقلة ، ولعله فصل من السيرة [٢] وكذلك يوجد كثير من « سيرة » الواقدى أو« كتاب البعث » الذى من الواضح أنه يتناول الفترة منذ بعث النبى إلى هجرته إلى المدينة ، يوجد كثير منهما فى المواضع الأخرى من ابن سعد . ويذكر ابن سعد الواقدىّ مرة أو مرتين ، على أنه روى تاريخ أهل الكتاب ، ولكن يظهر أن الواقدىّ لم يعط ذلك التاريخ أهمية كبيرة ؛ ويظهر الواقدىّ كثيرا أيضا فى رُواة حوادث العهد المكى .

ولم يبق لنا من جميع كتابات الواقدىّ كتاب مهم كامل غير « كتاب المغازى » . وقد نشر الْفِرِدْفُونْ كِرِيمَر Alfred Von Kremer الثلث الأول منه فى « المكتبة الهندية » عن مخطوط غير كامل وجده فى دمشق [٣] .

---

(١) لث نفس المرجع ٦٠٤ ، ٦٠٧ الملاحظة ٤ ، ابن سعد ٥ : ٣١٤ . ويعطينا الواقدى تاريخ وفاة محدث مات فى المدينة عام ١٨٦ هـ . وربما أكمل هذا الكتاب فى المدينة ، وقد أضيفت إليه إضافات فى بغداد فيما بعد .

(٢) لمعرفة الصلة بين هذا الباب من كتاب ابن سعد وبين الواقدى انظر « بانث » D.H.Baneth . إضافات لنقد كتابات محمد ومعانيها اللغوية (مقالات مختارة برلين ١٩٢٠) .

(٣) مغازى الواقدى تحقيق الفردفون كريمر ، كلكتا ١٨٥٦ ، ولا يصل كتاب الواقدى إلا إلى الصفحة ٣٦٠ ، السطر ١٠ ، أما مايلى ذلك فمأخوذ من كتاب متأخر وكذلك لا يرجع للواقدى ابتداء من الصفحة ١ ، السطر ٩ إلى الصفحة ٩ ، السطر ٢ .

– ح : وقد نشره عباس الشربينى فى القاهرة ١٩٤٨ ، وجونز فى لندن ١٩٦٦ .

وتوجد مخطوطة أخرى ناقصة ؛ وثالثة كاملة فى المتحف البريطانى ، ويعتمد الموجز الألمانى الذى نشره يوليوس ولهوزن Julius Wellhausen باسم « محمد فى المدينة » على هذه المخطوطات . ويعد أوجست فيشر August Fischer نسخة كاملة من النص العربى فى ليبزج (١) .

ويذكر الواقدى فى بداية « كتاب المغازى » قائمة بمن أكثر عنهم الرواية ، تتألف من خمسة وعشرين اسما ، ويذكر تلميذه ابن سعد أيضا أحد عشر منهم بأنهم رواة الواقدى الرئيسيون فى « المغازى » (٢) . ويبدو من هذه القائمة ، التى علق عليها سخاو Sachau (٣) بالتفصيل ، أن الواقدى لابدّ أنه شرع يجمع مادته فى زمن مبكر ، لأن بعض هؤلاء الرواة المباشرين مات بعد عام ١٥٠ هـ ؛ بزمن قليل ، أى حين كان الواقدى فى الخامسة والعشرين أو أصغر ؛ وجميع هؤلاء الرواة تقريبا من أهل المدينة أو عاشوا هناك ؛ ولذلك يمكن اعتبار الواقدى ممثلا للمدرسة المدنية . ولكن القائمة المذكورة فى بداية الكتاب لا تشمل جميع من روى عنهم الواقدى مباشرة ، وإنما الذين تعتمد عليهم روايته الرئيسة فقط . وقد أدخل فى كثير من الأحيان رواياتٍ فردية كان يذكر إسنادها الخاص فى كل مرة ، ويشمل فهرست الرواة الذى أضافه ولهوزن لترجمته ، جميعَ الرواة الذين ذكرهم الواقدى ، ويبرز من بين

---

(١) ت . كريمر رقم ١ السطر ٩ إلى ٢ سطر ٦ .

(٢) ابن سعد ٢ : ١ السطور ٣ - ١٠ . توجد القائمة المكونة من ستة أسماء ممن روى للواقدى مغازى النبى فى ابن سعد ١ ، ق ٢ : ١٥ ؛ أما التى تتكون من ٨ أسماء من رواته الرئيسيين فى الطبقات فتوجد فى نفس المرجع ٣ : ١ .

(٣) دراسة رواة تاريخ العرب القدماء ٢١ .

هؤلاء الرواة المباشرين وغير المباشرين مؤلفو المغازى الذين ذكرناهم آنفا : الزهرى ، ومعمر ، وأبو معشر ، وكذلك موسى بن عُقبة ، وإن كان أقل منهم ؛ أما ابن إسحاق فلا يذكره أبدا . وتستحق هذه الظاهرة عناية خاصة ، لأن الواقدىّ فى الترجمة الموجودة فى الطبرىّ [١] ، يصرح بإعجابه العظيم بابن إسحاق ، يقول : « وكان من أهل العلم بالمغازى – مغازى رسول الله ﷺ – وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راوية لأشعارهم ، كثير الحديث ، غزير العلم ، طَلّابة له ، مقدّما فى العلم بكل ذلك ثقة » . ولا يمكن الشك فى أن الواقدى استخدم كتاب ابن إسحاق [٢] ؛ ولعله أخذ منه أكثر من أى شخص آخر ممن تقدمه ، ومن الممكن أن يكون ذلك سبب عدم ذكره ، لأنه لم يرغب فى جعل ما أخذه واضحا بارزا بالإكثار من ذكر اسمه ، وأرضى نفسه بضمه إلى تلك المراجع غير المذكورة التى يقول عنها فى نهاية قائمته : « وغيرهم قد حدّثنى أيضا » .

ولكن الواقدىّ استخدم إلى جانب ابن إسحاق ، جميع المراجع الأخرى التى أمكنه الحصول عليها بأية طريقة ، ويقدم قدرا كبيرا غير موجود عند ابن إسحاق على الإطلاق ، أو على أى حال لم يروه نفس رواة الواقدى فى كتابه . و« كتاب المغازى » أغنى فى أخبار الفترة المدنية من كتاب ابن إسحاق ، وإن كان لا ينطوى قسط من هذه الأحاديث تحت التاريخ ، وإنما تحت الحديث الفقهى ، فيقترب كتاب

---

(١) الطبرى ٣ : ٢٥١٢ .

(٢) توجد الأدلة عند ولهوزن ١٢ ومابعدها ، وانظر هوروفتس : حول مخطوطة كتاب المغازى للواقدى (برلين ١٨٩٨) ص ٩ وما بعدها .

الواقدىّ من هذه الناحية من مجموعات الحديث . والواقدىّ يربط الحديث بالآخر ببساطة دون أن يحاول ربطهما بالإضافات أو النظرات الخاصة ، كما يفعل ابن إسحاق فى عامة الأمر .

ويكثر الواقدى أيضا من الاستشهاد بالقصائد ، وإن كانت هذه القصائد فى الحقيقة غير موجودة فى المخطوطات التى وصلت إلينا ، إما لأن الواقدى نفسه لم يُدخلها فى تلك المناسبة ، وإما لأن أحد رُواة كتابه تركها . وحتى إذا عثرنا على جميع القصائد المذكورة ، فإنها لا تبلغ قدر ما استشهد به ابن إسحاق .

ويستخدم الواقدى ، إلى جانب كتابات من تقدمه [١] ، المراجعَ الأصلية أيضا ، متابعا النصوص التى ذكرها المتقدمون أحيانا ، والأصولَ التى اختبرها بنفسه أحيانا أخرى [٢] . فيدون الواقدىّ فى « كتاب المغازى » بعضَ أوامر النبى ومعاهداته ، ويعتمد الفصلُ الذى خصصه ابن سعد لرسائل النبى أكثر اعتماده على مجموعة الوثائق التى جمعها الواقدى على أساس جهود من تقدمه .

ويتبع الواقدى خِطة ثابتة فى عرضه المغازى : فيبدأ بذكر عام خروج الغزوة من المدينة ورجوعها ، ويتبعه بأخبار الغزوة – ويتألف

(١) يقول (ابن سعد ١ : ٣٩) الواقدى : حدثنى عبد الله بن جعفر الزهرى قال : وجدت فى كتاب أبى بكر بن عبد الرحمن بن المسور ... إلخ ؛ نفس المرجع ٢ : ٦٩ : حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : وجدت هذا فى صحيفة بخط أبى فيها ... إلخ .

(٢) وكذلك يقول الواقدى فى ابن سعد ١ ق ٢ : ٣٧ : قال محمد بن عمر : نسخت كتاب أهل أذرح ، فإذا فيه ... إلخ .

العرض فى الفصول الطويلة من خبر رئيس واحد مكوَّن من كثير من الروايات الفردية التى يضيف إليها أخباره الخاصة – ويذكر فى النهاية ، فى غالب الأحيان ، نائب النبى على المدينة فى غيابه ، وبعض الأشعار والآيات التى تحتوى على إشارات للحادث الذى يعالجه ، وقوائم ... إلخ .

ولا يتكلم الواقدىّ عن نفسه فى كتابه إلا نادرا ، اللهم إلا فى الإسناد « وحُدِّثت كذا وكذا » . ومع ذلك ، ليس الواقدىّ جامعا ومنظما من الدرجة الأولى للمادة التى يرويها له الآخرون فحسب ، فهو يفوق من تقدمه فى تحديد تواريخ الحوادث . وليس تاريخه[١] مجرد تكرار لحقائق معروفة من قبل ، وإنما ثمرة بحث مستقل . أضف إلى ذلك أن الواقدىّ دوَّن ملاحظاته الخاصة على أصول الأحاديث ، وقد حفظ ابن سعد [٢] مقالا طويلا شاملا من الواقدىّ ، يقرر فيه رأيه دون أن يثير أى راوٍ مهما كان ، ولا يستثنى من ذلك فى النادر إلا الكاتب الذى قلما يروى أخبارا مفصلة ، دون أن يذكر الإسناد الصحيح ، وذلك بالطبع بغض النظر عن تفاصيل الترجمة الأصلية المذكورة سابقا .

وعلى حين يرفض المحدِّثون [٣] الواقدىَّ ، فإنه يوثق به فى السيرة

---

(١) ولهوزن ١٥ .

(٢) ابن سعد ٢ ق ٢ : ١٢٦ ، الأسطر من ٢٥ إلى ١٢٨ والسطر ١٢ .

(٣) انظر الأحكام فى ابن حجر ٩ : ٣٦٣ وما بعدها ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٥٥ .

والمغازى ، والفتوح ، والفقه [١] . ولكن عنايته الحقيقية بالتاريخ لا تبدأ إلا بظهور الإسلام ، فهو بخلاف ابن إسحاق لا يوجه كبير عناية إلى الفترة الوثنية السابقة عليه ، وأقل من ذلك أيضا عنايته بتاريخ الرسالات قبل الإسلام كما يبدو . ويقول إبراهيم الحربى [٢] : « كان الواقدى أعلم الناس بأمر الإسلام ، وأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئا » .

ويوصف الواقدىّ فى « الفهرست » [٣] بالتشيع ، ولكنه كان من المتشيعين المعتدلين ، ويستشهد على ذلك بقوله الذى يرى فيه أن عليًّا كان إحدى معجزات النبى ، كما كانت العصا التى تحولت إلى حية إحدى معجزات موسى ، وكما كان إحياء الموتى من معجزات عيسى . ولكن الأمر الجدير بالملاحظة أن الواقدىّ إما أنه لم يقل مثل هذه الأقوال المناصرة لعلىّ ، التى نجدها عند ابن إسحاق ، وإما أن يكون اقتبسها بشكل ملطف فقط . وكذلك لا توجد عند الواقدى عبارة النبى لعلىّ ، التى ذكرها ابن إسحاق : « أفلا ترضى ياعلىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ » [٤] والعبارة التى قالها النبى عند بعث سورة براءة ، والتى رواها ابن إسحاق : « لايؤدى عنى إلا رجل من أهل

---

(١) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ؛ ياقوت : نفس الموضع .

(٢) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ .

(٣) ت . فلوجل : ٩٨ : وكان يتشيع حسن المذهب ... وهو الذى روى أن عليا عليه السلام كان من معجزات النبى ﷺ ، كالعصا لموسى صلى الله عليه ، وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليه السلام ، وغير ذلك من الأخبار .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٦٣ والواقدى ، ولهوزن ٣٩٣ .

بيتى » [١] ويدهشنا مثل هذا الحذف أو التغيير لأحاديث فى صالح علىّ من مؤلف يوصف بالتشيع ، وربما كان تفسير ذلك فيما أضافه مؤلف الفهرست حين يقول : إن الواقدى كان يلزم التَّقِيَّة [٢] ، أى أنه كان يكتم ميله للتشيع . ويكشف الواقدى فى المواضع الأخرى عن عدم تحيزه بذكره الأقوال التى فى جانب علىّ والتى عليه ؛ مثل ذكره الخبر القائل بوفاة النبى فى حِجر عائشة ، والخبر القائل بوفاته فى حِجر علىّ [٣]. أضف إلى ذلك أن مؤلف الفهرست هو المؤلف الأول كما يبدو ، والوحيد الذى يصف الواقدى بالتشيع ، حتى « كُتب الرجال » عند الشيعة لا تذكره .

وقد عاش الواقدىّ ، كما رأينا ، فى رضا الخلفاء العباسيين . ومن الواضح أن احترام البيت الحاكم هو سبب حذفه اسم العباس من قائمة خصوم النبى المأسورين فى بدر ، ووضعه « فلان » بدلا من اسم العباس فى قائمة الذين أمدوا جيش قريش بالمؤن (المُطْعِمين) [٤] . وكذلك ذكر الواقدى الرواية القائلة بأن العباس كان فى صدر قائمة العطاء التى كتبها عمر [٥] ، إرضاء للبيت الحاكم .

---

(١) ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، والواقدى ؛ ولهوزن ٤١٦ ؛ والملاحظة على ابن سعد ٢ : ١٢٧ .

(٢) ٩٨ .

(٣) ابن سعد ٢ ق ٢ : ٥٠ ، الأسطر من ١٢ إلى ٥١ ، والسطر ٢٤ .

(٤) ت . كريمر : ١٤٠ ؛ يذكر الواقدى فى خبر موجود عند ابن سعد ٤ : ٦ أسر العباس . وانظر أيضا نولدكه فى « مجلة جماعة المستشرقين الألمان » المجلد ٥٢ ، الصفحة ٢١ وما بعدها .

(٥) ابن سعد ٤ : ٢١ ؛ وكيتانى : حوليات : السنة ٢٠ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤١ .

محمد بن سعد

آخر جمّاعى المغازى الذين نذكرهم هنا محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدىّ ، الذى حقق كتابه إدورد سخاو Eduard Sachau مع عدد من الزملاء [١] والذى ألف رسالة عنه أُتُولُتْ Otte Loth فى عام ١٨٦٩ [٢] .

وقد وُلد محمد بن سعد بن منيع فى البصرة عام ١٦٨ هـ [٣] ، ثم أقام فى المدينة وأماكن أخرى ، ونجده هناك فى عام ١٨٩ هـ [٤] . وعندما يوصف بأنه مولى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس [٥] ، لا يعني ذلك أنه هو نفسه كان مولى الحسين ، وإنما جده ، وربما أبوه أيضا ؛ لأن الحسين توفى عام ١٤٠ أو ١٤١ هـ [٦] . ويتضح من قول ابن سعد إن ذلك الفرع من البيت العباسى انتهى بالحسين [٧] ، أن ابن سعد نفسه لم يعد يرتبط أى نوع من الارتباط بذلك الفرع .

---

(١) ابن سعد : تراجم محمد والصحابة والتابعين حتى عام ٢٣٠ هـ ، ١٩ مجلدا ، بريل E.I. Brill ، ليدن ١٩٠٤ - ٢٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ليبزج .

(٣) ابن سعد ٧ : ٩٩ .

(٤) نفس المرجع ٥ : ٣١٤ : ولكنه (أبا علقمة الفروى) عمر حتى لقيناه سنة تسع وثمانين ومئة بالمدينة .

(٥) ابن سعد ٧ ق ٢ : ٩٩ ؛ البلاذرى : فتوح ٣١٢ يذكر أنه مولى بنى هاشم .

(٦) ابن حجر ٢ : ٣٤٢ .

(٧) ابن سعد ٥ : ٢٣١ .

ويطلق على ابن سعد في بعض المراجع لقب الزهريّ [١] ، مما يجعلنا نظن أنه هو نفسه ، أو أبوه قبله ، انتسب إلى بنى زُهرة من قريش . واشتدت الصلة بينه وبين الواقديّ فى بغداد ، وألف كتبه من تصنيفات الواقديّ ، كما يقول مؤلف الفهرست [٣] . ولا يذكر جامع الفهرست من كتابات ابن سعد غير « كتاب أخبار النبى » ويبدو أن هذه السيرة وحدها كتبها ابن سعد بالصورة التى شاعت بها فيما بعد ، ورواها لتلاميذه ليرووها عنه ؛ على حين حُفظت « الطبقات » بصورتها المعروفة للمرة الأولى على يد الحسين بن فهم (٢١١ - ٢٨٩ هـ) . وجمع ابن معروف الكتابين فى كتاب واحد [٣] ، تؤلف سيرة النبى الجزءَ الأولَ منه ، حوالى عام ٣٠٠ هـ .

و« أخبار النبى » وهى المجلد الأول من القسم الأول ، والثانى من القسم الأول والثانى فى نسخة برلين ، لها فصل تمهيدى يتناول تاريخ الأنبياء السابقين ، ويُضاف إليه تاريخ أجداد محمد . ويلى ذلك عرض قصة طفولة محمد والأعوام التالية حتى بعثته ، يذكر فيه فصلين عن علامات نبوة محمد قبل الوحى الأول وبعده ، ثم يسرد الحوادث منذ أول دعوة إلى الإسلام حتى الهجرة ، ويعالج الجزء الثانى من المجلد الأول العهد المدنى ، ويفصل أوامر النبى خاصة ، ووفود العرب عليه ؛ وأخلاقه ، وطريقة حياته ومايختص به . ويخصص الجزء الأول من المجلد الثانى لغزوات النبيّ ، أى المغازى بالمعنى الخاص . ويُبْرز الجزء

---

(١) ابن خلكان ١ : ٦٤١ .

(٢) ت . فلوجل ٩٩ .

(٣) لث : الطبقات ٢٥ وما بعدها .

الثانى من المجلد الثانى خاتمة سيرة النبىّ فى فصول مفصّلة عن مرض النبى ، ووفاته ، ودفنه ، وميراثه ، ومجموعة مِن مراثيه أيضا . أما مايلى ذلك فى هذا المجلد – وهى أخبار عن أبرز الفقهاء فى المدينة – فهو المدخل إلى « الطبقات » ولا تتصل فيما عدا ذلك بحياة النبى الفعلية ، التى يشار بوضوح إلى نهايتها بالعبارة : « آخر خبر النبىّ » التى تقف قبل بداية هذه الضميمة .

ويُعد ابن سعد أول مؤلف بعد ابن إسحاق ، وصلت إلينا منه ترجمة كاملة للنبى ، مادمنا لا نملك غير مغازى الواقدىّ كتابا مستقلا كاملا . ويعطينا ابن سعد فى بعض المواضيع تفاصيل أوفى من ابن إسحاق ، كما فى الفصول الخاصة بأخلاق النبى وعاداته ، والخاصة برسائله وسفاراته ، والخاصة بمرضه ووفاته ؛ على حين يمرُّ مرَّ الكرام على الأمور الأخرى ، التى تشغل مساحة كبيرة عند ابن إسحاق ، مثل ماضى بلاد العرب الجاهلى الذى لا يتصل بأجداد النبى المباشرين . وعُنى ابن سعد أحيانا بالتنظيم المنهجى لمواده ؛ ويبدو أنه أول من جمع « علامات النبوة » معا ، وذلك العمل الذى اتبعته فيما بعد الكتب المتأخرة عن « دلائل النبوة » ، كما كان فصله عن « صفة أخلاق رسول الله » سبب وجود أدب « الشمائل » فيما بعد [١] .

ويعتمد « خبر النبى » لابن سعد اعتمادا شديدا على المادة التى جمعها أستاذه الواقدى . ومن الحق أنه لا يذكره فى تاريخ أهل الكتاب

---

(١) نولدكه – شولى – تاريخ القرآن ٢ : ١٣٥ .

إلا نادرا [١] ، أما راويته الرئيسى فى ذلك فهو هشام بن محمد بن السائب الكلبى . أما الواقدى فهو راويته الرئيسى فى تاريخ الفترة المكية من حياة النبى ، وإن كان ابن سعد يوسّع قصصه فى الغالب بالروايات التى يأخذها عن الرواة الآخرين . وكذلك الواقدى هو راويته الرئيسى فى الفصول الخاصة بأنواع نشاط النبى فى المدينة ، وابن سعد يكمل رواياته هنا أيضا بالروايات الأخرى .

ومن جهة أخرى يبرّز ابن سعد على الواقدىّ فى فصوله عن صفة أخلاق النبى ، ولا يذكره إلا نادرا . ويصدّر ابن سعد [٢] أخباره عن المغازى الفعلية بقائمة تحوى أهمّ رواته ، ويذكر الواقدىّ على أنه راويته المباشر ، ورؤيم بن يزيد ، الذى روى له أخبار ابن إسحاق ، وحسين بن محمد ، الذى روى له أخبار أبى معشر ، وإسماعيل بن عبد الله ، الذى روى له أخبار موسى بن عقبة . إذن فابن سعد يقودنا إلى آثار أعلم من تقدمه ، ويعتمد وصفه للمغازى الفعلية عليهم بصفة رئيسية ، وإن كانت مقابلته بنص « مغازى » الواقدى ترينا أن ابن سعد اعتمد على الواقدىّ أكثر من غيره ؛ وعلى ابن إسحاق ، وأبى معشر ، وموسى بن عقبة ، بدرجة أقل كثيرا . ويمدنا ابن سعد فى كل من هذه الغزوات بوصف رئيس دون أية إشارة إلى مرجع . مادام قد ذكر الرواة مرة واحدة فى بداية المغازى ، ثم يوسع هذا الوصف الرئيس بالروايات الفردية الكثيرة جدا فى كثير من الغزوات ، ويقدم كل رواية منها بإسناد خاص . وهكذا يقف ابن سعد من الواقدىّ فى المغازى ، موقف

(١) ابن سعد ١ : ٢١ ، ٢٢ .
(٢) نفس المرجع ٢ : ١ .

الواقدى من ابن إسحاق . ولكن على حين لا يذكر الواقدى ابن إسحاق أبدا ، نجد ابن سعد لا يخفى أن كتاب الواقدى أساس كتابه الخاص . وعلينا أن نعرف مقدما أن ابن سعد ليضمن نقاء عَرْضه ، لا يقطع وصفه الرئيس أوقصته الأساسية أبدا بالإضافات التى جمعها بنفسه ، كما يفعل الواقدى ، ولكنه يضع هذه المادة المضافة فى نهاية القصة الأساسية فى كل حالة ، وكمَّل ابن سعد أخبار الواقدى منهجيا فى إحدى الخواص ، وهى إجابته فى كل غزوة عن الأسئلة التالية :

من الذى تركه النبى حاكما على المدينة فى أثناء غيابه ؟ ومن حمل اللواء ؟

حقًّا إن الواقدىّ وجه عنايته إلى تلك الأسئلة ، ولكنه لم يجب عنها فى كل حالة . وقد تعب ابن سعد تعبا شديدا فى جمع الأخبار الخاصة بمرض النبى الأخير ووفاته ، ويظهر الواقدى راويته هنا أيضا فى أغلب الأحيان ، ومن الواضح أن ابن سعد استخدم « كتاب وفاة النبى » للواقدى ، ولكنه وسَّعه توسيعا عظيما جدا .

ولم يأت ابن سعد فى كتابه بملاحظات شخصية قط ، وقلما يوجد قول دون الإشارة إلى المرجع الذى أخذ عنه ، فيما عدا بعض الأقوال المتصلة بالقصة . ويذكر إلى جانب هذه الأخبار التى استعارها ممن تقدمه ، النصَّ الكامل لكثير من الوثائق الأصلية ، وليست القصائد التى استشهد بها ، وخاصة المراثى ، بقليلة على الإطلاق . ولكنه فى هذه الناحية متخلف عن الواقدى ، ولا يمكن ذكره مع ابن إسحاق . ويصدّر ابن سعد « الطبقات » الخاصة ، التى تبدأ بالمجلد الثالث من نسخة سخاو ، بقائمة عن رواته الأساسيين ، ويظهر فيها إلى جانب الواقدى ، ابن إسحاق ، وأبو معشر ، وموسى بن عقبة ، الذين أخذ أقوالهم عن

طريق تلاميذهم المباشرين أو غير المباشرين . ويذكر هنا أيضا من رواته معنَ بن عيسى المدنى (المتوفى عام ١٩٨ هـ) والفضلَ بن دُكَين الكوفى (المتوفى عام ٢١٩ هـ) وهشام بن محمد بن السائب الكلبى الكوفى (المتوفى عام ٢٠٤ هـ) الذى كان أبوه محمد أشهر النسابين . ولكن ابن سعد يلتزم غالبا فى نسب الأنصار راوية آخر ، هو عبد الله بن محمد ابن عمارة الأنصارى ، مؤلف « كتاب نسب الأنصار [١] » ، ولعله هو عبد الله بن محمد بن عمارة بن القداح المذكور فى « ميزان » الذهبى ، والذى لا نعرف عنه شيئا آخر .

وتكوِّن « الطبقات » تكملة غنية لسيرة النبى مادامت تشير إلى أصحابه من الرجال والنساء – والمجلد الثامن من الكتاب مخصص لهؤلاء النساء – الذين اشتركوا فى حياة النبى العامة والخاصة ، أو الذين رووا الحديث . ويُضاف إلى تراجم الصحابة تراجم التابعين ، الذين لم يعودوا متصلين بأية صلة شخصية بسيرة النبى . ولا أتقدم هنا لأذكر خصائص أخرى للطبقات ، ولكن أُتُولِّتْ تناول صفتها الخاصة لا فى الرسالة المذكورة سابقا وحدها ، بل أيضا فى المقالة المسماة : « أصل الطبقات وأهميتها » [٢] التى يناقش فيها صلة « طبقات » ابن سعد بطبقات الواقدى . وأخيرا شرح سخاو فى مقدمة المجلد الثالث من نسخته المناهجَ التى اتبعها ابن سعد فى « الطبقات » شرحا أكثرَ دقة .

---

(١) انظر سخاو فى مقدمة المجلد الثالث من ابن سنعد ص XXVII ؛ وهوروفتس فى مقدمة المجلد الثالث من ابن سعد ص ٥ وما بعدها ؛ سخاو : دراسات ٣٢ ومابعدها ، دى غويه فى « مجلة جماعة المستشرقين الألمان » المجلد ٥٧ ، الصفحة ٣٧٩ ، ركندورف Reckendorf فى « صحيفة الآداب الشرقية » ١٩٢٣ ص ٣٥١ .

(٢) « مجلة جماعة المستشرقين الألمان » المجلد ٢٣ ، الصفحة ٥٩٣ ومابعدها .

ولا تؤلف سيرة النبى فى مجموعات العصور التالية فى مصنفات الطبرى والمسعودى ، واليعقوبى وغيرهم غيرَ فصل فى معرِض تاريخ العالم ، ولا يُخَصِّص لها كتبا ثانية إلا مؤلفو القرون المتأخرة ، من أمثال الحلَبى [١] (المتوفى عام ١٠٤٤ هـ) وابن سيد الناس (المتوفى عام ٧٣٤ هـ) اللذين أكثرا فى آثارهما من ذكر مؤلفى المغازى الأولى ، الذين هم موضوع هذه المقالات .

* * *

---

(١) هو على بن برهان الدين الحلبى ، صاحب السيرة الحلبية .

ضمائم

جمعها المترجم : وهى أمثلة تبين أساليب أصحاب المغازى فى تآليفهم



أبان بن عثمان

– ١ –

الفقرة التى أوردها ابن قتيبة عن أبان بن عثمان :

« وكان كعب فحلا مجيدًا ... وكان أخوه بُجَيْر أسلم قبله ، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة . وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام . فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فتوعده . فبعث إليه بجير فحذره . فقدم على رسول الله ﷺ فبدأ بأبى بكر . فلما سلم النبى ﷺ من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يارسول الله ، هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام ، فبسط النبى ﷺ يده . فحسَر كعب عن وجهه ، وقال : هذا مَقام العائذ بك يارسول الله ، أنا كعب ابن زهير ، فتجهمته الأنصار ، وغلَّظت له ، لذكره كان قبل ذلك رسول الله ﷺ ، وأحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبى ﷺ ، فأمنه واستنشده :

بانتْ سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

فلما بلغ قوله :

إن الرسولَ لَنُورٌ يُستضاءُ به ... وصارمٌ من سيوفِ الله مسلولُ
فى عُصْبةٍ من قريش قال قائلُهم ... ببطن مكة لما أسلموا : زُولُوا
زالوا فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... يوم اللقاءِ ولا سودٌ مَعازيلُ

فنظر رسول الله ﷺ إلى من عنده من قريش ، كأنه يُومئ إليهم أن يسمعوا ، حتى قال :

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الْبُهْمِ يَعْصِمُهم
ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ

يعرض بالأنصار ، لغلظة منهم كانت عليه . فأنكرت قريش عليه ، وقالوا : لم تمدحنا إذ هجوتهم . فقال :

من سَرَّهُ شرفُ الحياةِ فلا يَزَلْ فِى مِقْنَبٍ من صالحِى الأنصار

فكساه النبى ﷺ بُردة ، اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم ، وهى التى يلبسها الخلفاء فى العيدين . زعم ذلك أبان بن عثمان ابن عفان » .

« الشعر والشعراء طبعة ليدن ٩٨ »

— ٢ —

آخر ماتفوّه به عمر بن الخطاب :

« عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، عن أبيه ، عن عثمان بن عفان ، قال : أنا آخِرُكم عَهْدا بعمر ، دخلتُ عليه ورأسُه فى حجر ابنه عبد الله بن عمر ، فقال له : ضَعْ خَدِّى بالأرض . قال : فهل فَخِذى والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدى بالأرض لا أمَّ لك ، فى الثانية أو فى الثالثة ، ثم شَبَّكَ بين رجليه ، فسمعتُه يقول : وَيْلى وَوَيْلُ أُمِّى إن لم يغفر الله لى ، حتى فاضت نفسه .

قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة قال : (نا) سفيان ، عن عاصم بن عُبيد الله ، قال : حدثني أبان بن عثمان ، عن عثمان ، قال : آخر كلمة قالها عمر حتى قضى : وَيْلِى وَوَيْلُ أُمِّى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى » !

« ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٦٢ »

* * *

عروة بن الزبير

— ١ —

رسالة عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان :

« ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد فإنك كتبت إلىَّ فى أبى سفيان ومخرجه ؛ تسألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام فى قريب من سبعين راكبا ، من قبائل قريش كلها ، كانوا تجارا بالشام . فأقبلوا جميعا معهم أموالهم وتجارتهم : فذُكروا لرسول الله ﷺ وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى ، وقُتل ابن الحَضْرَمِىّ فى ناس بنخلة ، وأُسرت أسارى من قريش ، فيهم بعض بنى المغيرة ، وفيهم ابن كَيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بنى عَدِىّ ابن كعب ، فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ بعثهم مع عبد الله بن جحش . وكانت تلك الوقْعة هاجت الحربَ بين

رسول الله ﷺ وبين قريش ، وأول ما أصاب بعضهم بعضا من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم . فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لَقُوهم . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله ﷺ معترضون له بعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم فأجيروا تجارتكم . فلما أتى قريشا الخبر ، وفي عير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤى كلها ، نَفَرَ لها أهل مكة ، وهي نفرة بني كعب بن لؤى ، ليس فيها من بني عامر أحد ، إلا ماكان من بني مالك بن حِسْل .

ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله ﷺ ولا أصحابه ، حتى قدم النبي ﷺ بدرا . وكان طريق ركبان قريش ، من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام . فخفض أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرَّصَد على بدر .

وسار النبي ﷺ حتى عَرَّس قريبا من بدر . وبعث النبي ﷺ الزبير ابن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا يحسبون أن قريشا خرجت لهم . فبينا النبي ﷺ قائم يصلي إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ، فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله ﷺ ، وهو مُعَرَّسه ، فسألوه عن أبي

سفيان وأصحابه ، لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ، ويَصْدُقهم الخبر ، وهم أكره شئ إليهم الخبر الذى يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبى ﷺ يصلى : يركع ويسجد ويرى ويسمع مايُصنع بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه . فجعل العبد إذا أذلقوه [١] بالضرب ، وسألوه عن أبى سفيان وأصحابه وليس له بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : نعم ، هذا أبو سفيان . والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ... ﴾ حتى بلغ ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعَهم النبيُّ ﷺ انصرف من صلاته ، وقد سمع الذى أخبرهم ؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب » . قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشا قد جاءت ! قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تُجير ركابها فدعا الغلام ، فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لى بأبى سفيان . فسأله : كم القوم ؟ فقال : لا أدرى والله ، هم كثير عددهم . فزعموا أن النبى ﷺ قال : من أطعمهم أول من أمس ؟ فسمّى رجلا أطعمهم . فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر . قال : فمن أطعمهم

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه وأجهدوه .

أمس ؟ فسمى رجلا . فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر . فزعموا أن النبى ﷺ قال : القوم مابين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

فانطلق النبى ﷺ فنزل الماء ، وملأ الحياض ، وصفَّ عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله ﷺ بدرا قال : هذه مصارعهم . فوجدوا النبى ﷺ قد سبقهم إليه ، ونزل عليه . فلما طلعوا عليه زعموا أن النبى ﷺ قال : هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تُحادّك وتكذب رسولك ، اللهم إنى أسألك ماوعدتنى . فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثا فى وجوههم التراب ، فهزمهم الله ؛ وكانوا قبل أن يلقاهم النبى ﷺ قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا . والركب الذين يأمرون قريشا بالرَّجعة بالجُحفة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرا ، فنقيم به ثلاث ليال ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا ، وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ، فالتقوا هم والنبى ﷺ ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » .

« الطبرى ١ : ١٢٨٤ »

— ٢ —

فقرة من تناول عروة لحروب الردة :

« هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : كفرت العرب ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم . ثم قال : والله لا أنتهى حتى أناطح مسيلمة .

فقالت الأنصار : هذا رأى تفردت به ، لم يأمرك به أبو بكر ، ارجع إلى المدينة حتى نريح كُرَاعنا [١] . فقال : والله لا أنتهى حتى أناطحه . فرجعت عنه الأنصار ، ثم قالوا : ماذا صنعنا ؟ لئن ظهر أصحابنا لقد خُسِّسنا ، ولئن هربوا لقد خذلناهم ، فرجعوا ومضوا معه . فالتقى المسلمون والمشركون ، فولَّى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال ، فقام السائب بن العوام ، فقال : أيها الناس ، قد بلغتم الرحال ، فليس لامرئ مفر بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلمة : وكان شعارهم يومئذ : يا أصحاب سورة البقرة » ؟

« فتوح البلدان ٨٩ » .

– ٣ –

فقرة من تناول عروة لتاريخ الخلفاء والحزب الزبيرى فى يوم الجمل :

« عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزمام [بزمام جمل عائشة] حتى يقول : أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين ، فجاء عبد الله بن الزبير ، فقالت حين لم يتكلم : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن أختك . قالت : واثُكْلَ أسماء ، تعنى أختها . وانتهى إلى الجمل الأشترُ وعدىٌّ بن حاتم . فخرج عبد الله بن حكيم بن حِزام إلى الأشتر ، فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ،

---

(١) الكراع هنا : الخيل .

فجرحه جرحا شديدا ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة . واعتنق كل منهما صاحبه ، وخرَّا إلى الأرض يعتركان ، فقال عبد الله بن الزبير : اقتلوني ومالكا ؛ وكان مالك يقول : ما أحِب أن يكون قال : « والأشتر » [1] وأن لى حُمْرَ النَّعَم [2] . وشد أناس من أصحاب علىّ وأصحاب عائشة فافترقا ، وتَنَقَّذَ كل واحد من الفريقين صاحبه .

« الطبرى ١ : ٣٢٠٧ »

* * *

---

(١) الأشتر : لقب مالك بن الحارث النخعى الفارس الشاعر التابعى ، من أصحاب على رضى الله عنه . (عن تاج العروس) .

(٢) النعم : الإبل والشاء ، وحمر النعم : أعزها وأندرها .

شُرَحبيل بن سعد

— ١ —

الفقرة التى تناول فيها شرحبيل هجرة الرسول :

« حدثنى مجمّع بن يعقوب أنه سمع شرحبيل بن سعد يقول : لما أراد رسول الله ﷺ أن ينتقل من قُباء اعترضت له بنو سالم ، فقالوا : يارسول الله ، وأخذوا بخِطام راحلته ، هَلمَّ إلى العَدَد والعُدَّة ، والسلاح والمَنَعة . فقال : خَلُّوا سبيلها ، فإنها مأمورة . ثم اعترضت له بنو الحارث ابن الخزرج ، فقالوا له مثل ذلك ، فقال لهم مثل ذلك . ثم اعترضت له بنو عدى ، فقالوا له مثل ذلك، فقال لهم مثل ذلك ، حتى بركت حيث أمرها الله » .

« ابن سعد : الطبقات الكبير ١ : ١٦٠ »

وهب بن منبه

— ١ —

فقرة تبين أسلوب وهب وما راعاه فى أخباره :

« قال وهب : ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا ، وهو : شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

حكم الحى القيوم أنه إذا اعتكر [١] الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان ، وغلب هذا اللسان ، فعُبدت الأوثان ، وقُتل الولدان ، أن بعث الله محمدًا بالعدل والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، نبى لا نبى بعده ، ولم يخلف الله وعده » .

« كتاب التيجان ٢٦ »

— ٢ —

وهذه فقرة من تاريخ اليمن لوهب :

ملك الهمال بن عاد
المعروف بذى شدد ملك متوج

« وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد ابن المِلطاط بن السَّكسك بن وائل بن حمير ، والهمال بن عاد هو ذو شَدَد . فلما صار الملك إلى همال ذى شدد دخل إلى المغارة التى دفن فيها أخوه شداد بن عاد ، فأخرج التاج ، وتتوج به . وكان لقمان غيَّبه فى تلك المغارة ، لأنه لم يكن متوجا ، كان متواضعا لله . فلما ولى الهمال بن عاد أخذ الملك أخذا شديدا ، فولى ذلك حينا من الدهر ، ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير ، كقولك ذو شطط ابن عاد بن مناح ، أى ذو عطاء » .

« كتاب التيجان ٧٨ »

---

(١) اعتكر الزمان : اختلطت أموره والتبست .

عبد الله بن أبى بكر

– ١ –

فقرة من تناوله للسَّرايا :

« ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ بعث إلى السَّرية الذين أصابوا مال أبى العاص، فقال لهم : « إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذى له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم ذلك فهو فَئ‌ء الله الذى أفاءه إليكم ، وأنتم أحق به » . قالوا : يارسول الله ، بل نرده عليه . قال : فردوا عليه ماله ، حتى إن الرجل ليأتى بالحبل ، ويأتى الرجل بالشَّنَّة [١] والإداوة [٢] حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظ [٣] ، حتى ردوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدّى إلى كل ذى مال من قريش ماله ممن كان أبْضَع معه [٤] ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، جزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيّا كريما . قال : فإنى أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ومامنعنى من الإسلام عنده إلا تَخَوُّف أن تظنوا أنى إنما أردت أكل أموالكم ، فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

« الطبرى ٣ : ٢٣٠٥ ؛ وابن هشام ٢ : ٣١٣ »

---

(١) الشنة : السقاء البالى .

(٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة معقوفة تدخل فى عروتى الجوالق .

(٤) أبضع معه : أرسل بضاعته معه .

– ٢ –

وهذه فقرة تبين عنايته بالسنين وبحياة النبى قبل البعثة :

« ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر .. أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنوات ، بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بنى عدىّ بن النجار تُزيرُه إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة » .

« الطبرى ١ : ٩٨٠ »

– ٣ –

وهذه فقرة من وصفه لموقعة القادسية :

« محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ... ثم زحف إليهم رستم وزحف إليه المسلمون وما عامَّةُ جُنَنِهم [١] غير براذع الرحال ، قد عرّضوا فيها الجريد يترّسون [٢] بها عن أنفسهم ، وما عامة ماوضعوه على رءوسهم إلا أنساع الرّحال [٣] ، يطوى الرجل نِسْعَ رحله على رأسه يتقى به ، والفُرس فيما بينهم من الحديد واليَلامِق . فاقتتلوا قتالا شديدا ، وسعد [بن أبى وقَّاص] فى القصر ينظر ، معه سَلْمى بنت خَصَفة ، وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فَرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت : وامُثَنّياه ، ولا مُثنَّى لىَ اليوم ! فغار سعد ، فلطم وجهها ، فقالت : أغَيْرةً وجُبنًا ؟! فلما رأى

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى ما يستتر به .

(٢) يترسون بها : يجعلونها ترسا واقيا .

(٣) أنساع الرحال : جمع نسع ، وهو حبل طويل عريض يشد به الرحل .

أبو مِحْجَن [الثقفى الشاعر المعروف ، وكان محبوسا عند سعد لشربه الخمر] ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذَيب ، وكان مع سعد فيه ، قال :

كَفَى حَزَنا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مَشْدودًا علىَّ وَثَاقِيَا
إذا قمتُ عَنَّانى الحديدُ ، وأُغْلِقتْ ... مصاريعُ دونى لا تُجيبُ المُناديَا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركونى واحدًا لا أخَاليَا

فكلم زَبْراء أم ولد سعد ، وكان عندها محبوسا ، وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الناس ، فقال : يازبراء ، أطلقِينى ولكِ علىَّ عهد الله وميثاقه : لئن لم أُقْتل لأرجعنَّ إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلىَّ . فأطلقته وحملته على فرس لسعد بَلْقاء ، وخلَّت سبيله . فجعل يشدّ على العدو وسعد ينظر ، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها . فلما أن فرغوا من القتال ، وهزم الله جموع فارس ، رجع أبو مِحجن إلى زبراء ، فأدخل رجله فى قيده . فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد رُكبت ، فسأل عن ذلك زبراء ، فأخبرته خبر أبى محجن ، فَخَلَّى سبيله » .

« الطبرى ١ : ٢٣٥٣ »

* * *

عاصم بن عمر

— ١ —

فقرة تبين سبب إسلام الأنصار :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا :

إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا ، لَمَا كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهلَ شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبىّ يُبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وإِرَم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرّفنا ماكانوا يتوعّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنّا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نَزَّل هؤلاء الآيات من البقرة ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

« ابن هشام : السيرة النبوية ١ : ٢٢٥ »

— ٢ —

وصف بَيْعَة العقبة :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عُبادة بن نَضْلَة الأنصارىّ ، أخو بنى سالم بن عَوْف : يامعشر الخَزْرَج ، هل

تدرون عَلاَم تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهِكت أموالكمْ مُصيبة ، وأشرافكم قتلا أسْلَمتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله إن فعلتم خِزْى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دَعَوتموه إليه من نَهْكة [1] الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفَيْنا بذلك ؟ قال: الجنة قالوا : ابسُط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ماقال ذلك العباس إلا ليَشُدَّ العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم . وأما عبد الله بن أبى بكر فقال : ماقال ذلك العبّاس إلاّ ليؤخّر القوم تلك الليلة ، رجاءَ أن يحضُرها عبد الله بن أُبيّ بن سَلول ، فيكون أقوى لأمر القوم » .

« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٨٨ »

— ٣ —

فقرة فى وصف موقعة بدر :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف ابن الحارث ، وهو ابن عَفْراء ، قال : يارسول الله ، مايُضْحِك الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسرا [2] . فنزع درعا كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل » .

« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٢٨٠ »

---

(١) نهكة الأموال : نقصها .

(٢) الحاسر : الذى لا درع له . (عن اللسان) .

— ٤ —

في فتنة عثمان :

« محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما نزلوا [الثوار] ذا خُشُب ، كلّم عثمان عليًا وأصحابَ رسول الله ﷺ أن يردوهم عنه . فركب عليّ ، وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن زيد ، وأبو جَهْم العَدَويّ ، وجُبَير بن مُطْعِم وحكيم بن حزام ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عَتّاب بن أسِيد ، وخرج من الأنصار أبو أُسَيْد السّاعديّ ، وأبو حُمَيد الساعديّ ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نِيار بن مِكْرَز وغيرهم ؛ ثلاثون رجلا . وكلّمهم عليّ ومحمد بن مَسلمة ، وهما اللذان قدما ، فسمعوا مقالتهما ورجعوا » . « الطبرى ١ : ٢٩٧٠ »

الزُّهري

— ١ —

بعثة النبى ﷺ :

« قال ابن إسحاق ، فذكر الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثته : أن أول مابُدِىءَ به رسول الله ﷺ من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح ، قالت : وحَبَّبَ الله تعالى إليه الخَلْوَة ، فلم يكن شئ أحبَّ إليه من أن يخلو وحده » .

« ابن هشام ١ : ٢٤٩ »

– ٢ –

وصف المغازى :

« عن عُقَيل ، عن الزهرىّ : أن وقيعة بنى النضير من يهود كانت على ستة أشهر من يوم أُحد . فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّتْ الإبل مِنَ الأمتِعةِ إلا الحلَقَةَ [١] ، فأنزل الله فيهم ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحديد] ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾ [سورة الحشر] إلى قوله : ﴿ وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾

« البلاذرى : فتوح البلدان ١٨ »

* * *

موسى بن عقبة

– ١ –

تاريخ الجاهلية :

« عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن موسى بن عقبة ، قال : سمعتُ من أرْضَى يُحَدِّث أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض نباتا ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكارًا لذلك وإعظامًا له » .

« الأغانى ٣ : ١٦ »

---

(١) الحلقة : الدروع .

— ٣ —

رسالة النبى إلى المنذر بن ساوَى :

« عن موسى بن عقبة أن النبىّ ﷺ كتب إلى منذر بن ساوَى : من محمد النبى إلى منذر بن ساوَى :

سِلْمٌ أنت ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن كتابك جاءنى ، وسمعتُ مافيه ، فمن صلَّى صلاتنا ، واستقبل قِبلتنا ، وأكلَ ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، ومن أبَى ذلك فعليه الجزية » .

« البلاذرى : فتوح البلدان ٨٠ »

— ٣ —

فتنة عثمان :

« محمد بن مسلم عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة ، قال : نظرت إلى سعد بن أبى وقاص يومَ قُتل عثمان ، دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب ، فقال له مروان : الآن تندم ، أنت أشعرتَه [١] ، فأسمعُ سعدا يقول : أستغفر الله ، لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة ، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلتُ عليه الآن ، فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك ، فنزع عن كل ما كُرِه منه ، وأعطى التوبة ، وقال : لا أتمادى فى الهَلَكة ، إن من تمادى فى الجَوَر كان أبعد من الطريق ، فأنا أتوب وأنزِع . فقال مروان : إن كنتَ تريد أن تذُبَّ عنه فعليك بابن أبى طالب ، فإنه متستر وهو لا يُجْبَه . فخرج

---

(١) أشعرته : شهرته بقولك ، فصار له كالطعنة فى البدنة (عن النهاية لابن الأثير) .

سعد حتى أتى عليًّا وهو بين القبر والمنبر ، فقال : يا أبا حسن ، قُمْ فداك أبي وأمي ، جِئْتُكَ والله بخيرٍ ماجاء به أحد قطُّ إلى أحد : تَصِلَ رَحِمَ ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقِن دمه ، ويرجع الأمر على مانحب ، قد أعطى خليفتُك من نفسه الرضا . فقال عليّ : تَقَبَّل الله منه يا أبا إسحاق ، والله مازلتُ أذُبُّ عنه حتى إني لأستحي ، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص ، هم صنعوا به ماترى ، فإذا نصحتُه وأمرتُه أن يُنَحِّيهم اسْتَغَشَّني ، حتى جاء ماترى ... فبيناهم كذلك جاء محمد بن أبي بكر ، فسارَّ عليًّا ، فأخذ عليّ بيدي ، ونهض عليّ وهو يقول : وأيُّ خير توبتُه هذه ؟ فوالله مابلغتُ داري حتى سمعتُ الهائعة [1] ، أن عثمان قد قتل ، فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا » . « الطبري ١ : ٢٩٩٨ »

— ٤ —

ولاية خالد بن عبد الله القسري ، مكة من قبل الوليد بن عبد الملك :

« حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي حبيبة ، قال : اعتمرتُ ، فنزلتُ دور بني أسد ، في منازل الزُّبير ، فلم أشعر إلا به [بخالد بن عبد الله القسريّ] يدعوني ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة . قال : ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة ؟ قلت : إنما مُقامي إن أقمت يوما [2] أو بعضه ، ثم

---

(١) الهائعة : الصوت الشديد يفزع منه .

(٢) كذا في الطبري .

أرجع إلى منزلى ، وليس عندى خلاف ، أنا ممن يعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جحدها فقد هلك .

قال : فلا عليك ما أقمت ، إنما يُكْرَه أن يقيم من كان زاريا على الخليفة .

قلت : مَعاذَ الله .

وسمعته يوما يقول : والله ، لو أعلم أن هذه الوحش التى تأمن فى الحرم لونطقت لم تقر بالطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة ، زارٍ عليهم . قلت : وفق الله الأمير » .
« الطبرى ٢ : ١٢٣١ »

* * *

مَعْمَر بن راشد

— ١ —

قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع نُمْرود :

« نا عبد الرزاق ، قال : نا معمر ، عن زيد بن أسْلَم : أن أول جبَّار كان فى الأرض نمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون [١] من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرَّ به ناس قال : مَن ربُّكم ؟ قالوا : أنت . حتى مرَّ به إبراهيم قال : من ربُّك ؟ قال : « ربى الذى يُحيى ويُميت . قال : أنا أُحيى وأُميت . قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأتِ بها من المغرب . فبُهت الذى كفر » . قال : فردّه بغير طعام . قال : فرجع إبراهيم إلى أهله ، فمرَّ على كَثِيب

(١) امتار : جمع الطعام والمئونة .

أعفر ، فقال : هلّا آخذ من هذا ، فآتيَ به أهلي ، فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم . فأخذ منه فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ، ثم نام . فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته ، فإذا هي بأجودِ طعام رآه أحد ، فصنعت له منه ، فقرّبته إليه . وكان عَهِد أهله ليس عندهم طعام . فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذى جئتَ به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحمد الله .

ثم بعث الله إلى الجبّار مَلَكا أن آمنْ بى وأتركَك على ملكك . قال : فهل ربٌّ غيرى ؟! فجاءه الثانية ، فقال له الملك : اجمعْ جموعك إلى ثلاثة أيام . فجمع الجبار جموعه ، فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابا من البعوض ، فطلعت عليهم الشمس ، فلم يروها من كثرتها ؛ فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ، وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام والملك كما هو لم يُصبْه من ذلك شئ . فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت فى مَنْخِره . فمكث أربع مِئة سنةُ يُضرَب رأسه بالمطارق ، وأرحمُ الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبارا أربع مئة عام ، فعذّبه الله أربع مئة سنة كملكه ، وأماته الله . وهو الذى بنى صَرْحا إلى السماء ، فأتى الله بنيانَه من القواعد ، وهو الذى قال الله : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ .

« الطبرى ١ : ٣١ »

— ٢ —

النبىّ فى مكة :

« ثنا ابن ثَوْر ، عن مَعْمر ، عن الزهرى ، قال : فتر الوحى عن رسول الله ﷺ فترةً ، فحزن حزنا شديدا ، جعل يغدو إلى رءوس

شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلما أوْفَى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فيقول : إنك نبيّ الله ، فيسكن لذلك جأشُه ، وترجع إليه نفسه .

فكان النبى ﷺ يُحدّث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشى يوما إذ رأيت المَلَك الذى كان يأتينى بحِراء ، على كرسىّ بين السماء والأرض ، فجُئِثْتُ [1] منه رعبا . فرجعتُ إلى خديجة ، فقلت : زَمّلُونى . فزمَّلناه : أى دثَّرناه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾

« الطبرى ١ : ١١٥٥ »

– ٣ –

بين الخليفة معاوية والمغيرة بن شُعبة عام ٦٠ هـ :

« حدثنى عبد الله ، عن معمر ، عن جعفر بن بُرقان : أن المغيرة كتب إلى معاوية :

أما بعد :

فإنى قد كَبِرتْ سِنِّى ، ودَقَّ عَظْمِى ، وشَنِفَتْ لى قريش [2] ، فإن رأيتَ أن تَعزلنى فاعزلنى .

فكتب إليه معاوية :

جاءنى كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنُّك ، فلَعَمْرى ما أكل عمرَك غيرُك ، وتذكر أن قريشا شَنِفَتْ لك ، ولعمرى ما أصبتَ خيرا إلا منهم .

---

(١) جئث : ذعر وخاف .

(٢) شنف له : أبغضه .

وتسألنى أن أعزلك ، فقد فعلت . فإن تك صادقًا فقد شفّعتُك ، وإن تك مُخادعا فقد خَدَعْتُك » .

« الطبرى ٢ : ٢٠٧ »

* * *

محمد بن إسحاق

— ١ —

خلق آدم :

« سَلَمَةُ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فيُقال – والله أعلم – إنه لمّا انتهى الروح إلى رأسه [رأس آدم] عطس ، فقال : الحمد لله . قال : فقال له ربه : يرحمك الله . ووقعت الملائكة حين استوى سجودا له ، حفظا لعهد الله الذى عهد إليهم ، وطاعةً لأمره الذى أمرهم به . وقام عدو الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبرا متعظما ، بغيا وحسدا ، فقال له : ﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ؟ ﴾ إلى قوله ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . قال : فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته ، وأبى إلا المعصية ، أوقع الله تعالى عليه اللعنة ، وأخرجه من النار » .

« الطبرى ١ : ٩٣ »

— ٢ —

أولاد إسماعيل :

« ثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وُلد لإسماعيل بنِ إبراهيم أحد عشر رجلا ، وأمهم السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهمى :

نابِت بن إسماعيل ، وقَيْدَر بن إسماعيل ، وأَدْبِيل بن إسماعيل ، ومبشا ابن إسماعيل ، ودِمًّا بن إسماعيل ، وماسى بن إسماعيل ، وأُدَد بن إسماعيل ، ووَطَور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقَيْذُمان بن إسماعيل . قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومئة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبّأ الله عز وجل إسماعيلَ فبعثه إلى العماليق – فيما قيل – وقبائل اليمن » .
« الطبرى ١ : ٣٥١ ، ابن هشام ١ : ٥ »

– ٣ –

النبىّ فى مكة :

« قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم ، للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأَغْرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءَهم ، فكذّبوه وآذَوْه ، ورموه بالشعر والسِّحر والكَهانة والجنون ، ورسولُ الله ﷺ مُظْهِرٌ لأمر الله لا يستخفى به ، مُبَادٍ لهم بما يكرهون ، من عَيْب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم » .

« ابن هشام ١ : ٣٠٨ »

– ٤ –

غزوة بدر :

« قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المخزومىّ ، وكان رجلا شَرِسا سَيِّئَ الخُلق ، فقال : أُعاهد الله لأشْربنّ من حَوْضهم أو لأهْدِمنّه ، أو لأموتنّ دونه ؛ فلما خرج خرج إليه حمزةُ بن عبد

المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأَطَنَّ [١] قدمَه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشْخُب [٢] رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - زعم - أن يبرّ يمينه ، وأتبعه حَمزةُ ، فضربه حتى قتله فى الحوض .

قال : ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فَصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتْية من الأنصار ثلاثةٌ ، وهم : عَوْف ومُعَوِّذ ابنا الحارث - وأمهما عَفْراء - ورجل آخر ، يقال : هو عبد الله بن رَواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رَهْط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يامحمد ، أخْرِج إلينا أكْفاءَنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : قُمْ ياعبيدة بن الحارث ، وقُمْ ياحمزة ، وقُمْ ياعليّ ، فلما قاموا ودنَوْا منهم ، قالوا : من أنتم؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ : عليّ ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام . فبارز عبيدة ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أن قتله ، وأما عليّ فلم يمهل الوليدَ أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبَه [٣] ، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة ، فذَفّفا [٤] عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه » .

« ابن هشام ٢ : ٢٧٦ »

---

(١) أطن : أطار .
(٢) تشخب : يخرج منها الدم بصوت .
(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .
(٤) ذففا عليه : أسرعا إلى قتله .

— ٥ —

موقعة اليرموك :

« قال [محمد بن إسحاق] : ومات المثنّى بن حارثة ، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سَلْمىَ ابنة خَصَفَة ، وذلك فى سنة ١٤ . وأقام تلك الحِجَّة للناس عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ، فشتا بها . فلما أصافت الروم سار هرقل فى الروم حتى نزل أنْطاكِيَة ، ومعه من المستعربة لَخْم وجُذام وبَلْقين وبَلِيّ وعامِلة ، وتلك القبائل من قضاعة ، وغسان بَشَر كثير ، ومعه من أهل إرْمِينيَة مثلُ ذلك . فلما نزلها أقام بها وبعث الصَّقلار خَصِيًّا له ، فسار بمئة ألف مقاتل ، معه من أهل إرمينية اثنا عشر ألفا ، عليهم جَرَجَة [1] ، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفا ، عليهم جَبَلة ابن الأيْهم الغسانى ، وسائرُهم من الروم ، وعلى جماعة الناس الصَّقلار خصىّ هرقل . وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفا ، عليهم أبو عُبيدة بن الجراح . فالتقوا باليرموك فى رجب سنة ١٥ ، فاقتتل الناس قتالا شديدا ، حتى دُخل عسكر المسلمين ، وقاتل نساءٌ من نساء قريش بالسيوف حين دُخل العسكر ، منهنّ أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، حتى سابَقْنَ الرجال . وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لَخْم وجُذام . فلما رأوا جِدّ القتال فروا ونجوا إلى ماكان قُرْبَهم من القرى ، وخذلوا المسلمين ... » .

« الطبرى ١ : ٢٣٤٧ »

---

(١) جرجة : اسم القائد .

— ٦ —

أخبار أصحاب حُجْر بن عَدِىّ :

« عن ابن إسحاق ، قال : وجّه زياد فى طلب أصحاب حُجْر ، فأخذوا يهربون منه ، ويأخذ من قدر عليه منهم ، فبعث إلى قَبيصة بن ضُبَيْعة بن حَرْملة العبسىّ ، صاحبَ الشرطة ، وهو شدّاد بن الهيثم ، فدعا قبيصة فى قومه ، وأخذ سيفه ؛ فأتاه رِبْعِىّ بن حِراش بن جَحْش العبسىّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير . فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشرطة : أنتِ آمِنٌ على دمك ومالك ، فلِمَ تقتل نفسك ؟ فقال له أصحابه : قد أُومِنْتَ فعَلَام تقتل نفسك وتقتلنا معك ؟! قال : وَيْحَكم إن هذا الدَّعِىَّ ابن العاهرة والله لئن وقعتُ فى يده لا أُفْلِتُ منه أبدا أو يقتلَنى . قالوا : كلا . فوضع يده فى أيديهم ؛ فأقبلوا به إلى زياد . فلما دخلوا عليه ، قال زياد : « وحىّ عبس تعْزّونى على الدين[1] » ، أما والله لأجعلنَّ لك شاغلا عن تلقيح الفِتَن ؛ والتَّوَثب على الأمراء . قال : إنى لم آتك إلا على الأمان . قال : انطلقوا به إلى السجن .

وجاء قيس بن عُباد الشيبانى إلى زياد ، فقال له : إن امرأً مِنَّا من بنى همَّام يقال له صَيْفِىّ بن فَسِيل ، من رءوس أصحاب حُجْر ؛ وهو أشد الناس عليك . فبعث إليه زياد ، فأُتِى به ، فقال له زياد : ياعدو الله ، ماتقول فى أبى تُراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب . قال : ما أَعْرَفَكَ

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الطبرى طبع ليدن ومصر . ولعله محرف عن : « وحىّ عَبْسٍ تَعَزَّوا بى على الدين » يريد أنهم تداعوا بدعوى الجاهلية ، بسبب خصومتى مع أنهم على الإسلام .

به ! قال : ما أعرفه . قال : أما تعرف عليّ بن أبي طالب . قال : بلى . قال : فذاك أبو تراب . قال : كلا ؛ ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام . فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول أنت لا ؟ قال : وإن كذب الأمير ؛ أتريد أن أكذب ، وأشهد له على باطل كما شهد ؟! قال له زياد : وهذا أيضا مع ذنبك ، عَلَيَّ بالعصا . فأُتي بها ، فقال : ماقولك ؟ قال : أحسنُ قول أنا قائله في عبدٍ من عباد الله المؤمنين . قال : اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض . فضُرب حتى لزم الأرض ، ثم قال : أَقْلِعُوا عنه ؛ إيهِ .. ماقولك في عليّ ؟ قال : والله لو شَرَّحتَني بالمواسى والمدَى ماقلتُ إلا ماسمعتَ مني . قال : لتلعننّه أو لأَضْرِبنَّ عنقك . قال : إذن تضربَها والله قبل ذلك ، فإن أبيتَ إلا أن تضربَها رضيتُ بالله ، وشقيتَ أنت . قال : ادفعوا في رقبته . ثم قال : أَوْقِروه حديدا ، وأَلْقُوه في السجن .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائي ، وكان شهد مع حجر ، وقاتلهم قتالا شديدا ، فبعث إليه زيادٌ بُكَيْرَ بن حُمران الأحمريّ ، وكان تَبِيعَ العمال . فبعثه في أناس من أصحابه ، فأقبلوا في طلبه ، فوجدوه في مسجد عَدِيّ بن حاتم ، فأخرجوه . فلما أرادوا أن يذهبوا به ، وكان عزيز النفس ، امتنع منهم ، فحاربهم وقاتلهم ، فشجّوه ورموه بالحجارة حتى سقط . فنادت مَيْثاء أخته : يامعشر طيئ ، أتُسْلِمون ابنَ خليفةِ لسانَكم وسنانَكم ؟! فلما سمع الأحمريّ نداءها خشي أن تجتمع طيئ فيهلك ، فهرب . وخرج نسوةٌ من طيئ فأدخلنه دارا . وانطلق الأحمري حتى أتى زيادا ، فقال : إن طيئا اجتمعت إليَّ فلم أطقهم فأتيتك . فبعث زياد إلى عدى ، وكان في المسجد ، فحبسه ، وقال : جئني به . وقد أُخبِر بخبر عبد الله ، فقال عدى : كيف آتيك برجل قد

قتله القوم ؟ قال : جئنى حتى أرى أن قد قتلوه . فاعتلَّ له ، وقال : لا أدرى أين هو ولا مافعل . فحبسه ، فلم يبق رجل من أهل المِصر من أهل اليمن وربيعة ومضر إلا فزع لعدىّ . فأتوا زيادا ، فكلموه فيه . وأُخرِج عبد الله ، فتغيَّب فى بُحْتُر ، فأرسل إلى عدىّ : إن شئتَ أن أخرج حتى أضع يدى فى يدك فعلتُ . فبعث إليه عدىّ : والله لو كنت تحت قدمىَّ مارفعتُهما عنك . فدعا زياد عديًّا فقال له : إنى أُخلى سبيلك على أن تجعل لى لتَنْفِيه (١) من الكوفة ، ولتَسِير به إلى الجبلين . قال : نعم . فرجع ، وأرسل إلى عبد الله بن خليفة : اخرج ، فلو قد سكن غَضَبُه لكلمتُه فيك حتى ترجع إن شاء الله . فخرج إلى الجبلين ... » .

« الطبرى ٢ : ١٢٨ »

أبو مَعْشَر السِنْدى

— ١ —

بعد غزوة ذى قَرَد :

« وحدثنا أبو الحسن المدائنى عن ابن جُعْدُبة وأبى معشر قالا : لما كان النبى ﷺ بظُرَيب التاويل ، مَقْدَمَهُ من غزوة ذى قَرد ، قالت له بنو حارثة من الأنصار : يارسول الله ، هاهنا مسارح إبلنا ، ومرعى غنمنا ، ومخرج نسائنا ، يعنون موضع الغابة . فقال رسول الله ﷺ : « من قطع شجرة فليغرس مكانها وَدِيَّة ، فغُرِسَت الغابة » .

« البلاذرى : فتوح البلدان ٩ »

---

(١) كذا فى الطبرى طبعة ليدن ومصر . ولعله محرف عن : « لتنفينه » .

– ٢ –

سورة بَراءة :

« ثنا عبد العزيز بن أبان قال : ثنا أبو معشر قال : ثنا محمد بن كعب القُرَظيّ وغيره قالوا :

بعث رسولُ الله ﷺ أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع . وبعث عليّ بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من براءة ، فقرأها على الناس يُؤَجِّل المشركين أربعة أشهر يَسِيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم بَراءة يوم عرفة ، أجّل المشركين عشرين يوما من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ولا يَحُجَّنَّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يَطُوفن بالبيت عُريان » .

« الطبرى ١ : ١٧٢١ »

– ٣ –

وفاة الهادى :

« قال أبو معشر : توفى موسى الهادى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول » .

« الطبرى ٣ : ٥٧٩ »

* * *

الواقدى

— ١ —

غزوة بدر :

« وندب رسول الله ﷺ المسلمين ، وقال : هذه عِير قريش فيها أموالهم ، لعلَّ الله يغنّمكموها . فأسرع من أسرع ، حتى إن الرجل ليُساهم أباه فى الخروج . فكان ممن ساهم سعد بن خيثمة وأبوه فى الخروج إلى بدر . فقال سعد لأبيه : إنه لو كان غير الجنة آثرتُك به ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . قال خيثمة : إنه لابد لأحدنا من أن يقيم . فاستهما [١] ، فخرج بينهم سعد ، فقُتل ببدر .

وأبطأ عن النبى ﷺ نفر كبير من أصحابه كرهوا خروجه ، وكان فيه كلام كثير واختلاف ، وكان من تخلف لم يُلَمْ ؛ لأنهم ماخرجوا على قتال ، إنما خرجوا للعِير . وتخلف قوم من أهلِ نيّات وبصائر ، لو ظنوا أنه يكون قتال ماتخلفوا ، وكان ممن تخلف أُسَيْد بن حُضير . فلما قدم رسول الله ﷺ قال له أُسيد : الحمد لله الذى سرَّك وأظهرك على عدوك ، والذى بعثك بالحق ماتخلفت عنك رغبة بنفسى عن نفسك ، ولا ظننتُ أنك تلاقى عدوا ، ولا ظننت إلا أنها العير . فقال رسول الله ﷺ : صدقت . وكانت أول غزاة أعزَّ الله فيها الإسلام ، وأذلَّ أهل الشرك » .

« الواقدى : المغازى ١٢ »

---

(١) من المساهمة ، وهى القرعة .

— ٢ —

تاريخ إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

« ثنا محمد بن سعد قال : ثنا محمد بن عمر الأسْلَميّ [الواقدى] عن غير واحد من أهل العلم قال : اسمها [اسم أم إبراهيم] انموتا من ولد أفراهم بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وكان بعضهم يقول : اسمها انمتلى بنت يكفور » .

« الطبرى ١ : ٣٤٦١ »

— ٣ —

أبو بكر يستخلف عمر بن الخطاب :

« ذكر ابن سعد عن الواقدى ، عن ابن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد ابن سُهيل ، عن أبى سَلمة بن عبد الرحمن ، قال : لما نزل بأبى بكر رحمه الله الوفاة . دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخْبِرنى عن عمر . فقال : ياخليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكنَّ فيه غِلْظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ؛ ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه . ويا أبا محمد ، قد رمَّقتُه [1] ، فرأيتُنى إذا غضبت على الرجل فى الشئ أرانى الرضا عنه ، وإذا لِنتُ له أرانى الشدة عليه ؛ لا تذكرْ يا أبا محمد مما قلت لك شيئا . قال : نعم . ثم دعا عثمان بن عفان فقال : يا أبا عبد الله ؛ فأخْبِرنى عن

(١) رمق : أدام النظر .

عمر . قال : أنت أخبرُ به. فقال أبو بكر : عَلَيَّ ذاك يا أبا عبد الله ؟ قال : اللهمَّ علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لاتذكر مما ذكرت لك شيئا . قال : أفعل . فقال له أبو بكر : لو تركتُه ما عدوتُك ، وما أدرى لعلّه تاركه ، والخِيرَة له ألّا يلى من أموركم شيئا ، ولوددتُ أنى كنت خَلْوًا من أموركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سَلَفكم ، يا أبا عبد الله لا تذكرنَّ مما قلت لك من أمر عمر ، ولا مما دعوتك له شيئًا » .

« الطبرى ١ : ٢١٣٧ »

— ٤ —

وُلَاة عام ٥١ هـ وقُضاتها :

« قال الواقدى : وكان العامل فى هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كلّه زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح ، وعلى قضاء البصرة عُمَيرة بن يثربىّ » .

« الطبرى ٢ : ١٥٦ »

— ٥ —

من حوادث عام ١٧٧ :

« وكان فيها – فيما ذكر الواقدى – ريح وظُلْمة وحُمْرة ليلة الأحد ، لأربع ليال بقين من المحرم ، ثم كانت ظُلْمة ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من المحرم من هذه السنة ، ثم كانت ريح وظُلْمة شديدة يوم الجمعة لليلة خلَت من صفر » .

« الطبرى ٣ : ٦٢٩ »

ابن سعد

– ١ –

غزوة الأَبْواء :

« ثم غزوة رسول الله ﷺ الأبواء فى صفر ، على رأس اثنى عشر شهرا من مهاجَره ، وحمل لواءه حمزةُ بن عبد المطلب ، وكان لواء أبيض ، واستخلف على المدينة سعدَ بن عُبادة ، وخرج فى المهاجرين ليس فيهم أنصارىّ ، حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش ، فلم يَلْقَ كَيْدا ؛ وهى غزوة وَدَّان ، وكلاهما قد ورد ، وبينهما ستة أميال . وهى أول غزوة غزاها بنفسه .

وفى هذه الغزوة وَادَعَ مخشىَّ بن عمرو الضَّمْرى، وكان سيدهم فى زمانه ، على ألا يغزو بنى ضَمْرة ولا يغزوه ، ولا يُكثِروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينهم كتابا . وضمرة من بنى كنانة . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبى أُوَيْس ، (نا) كثير بن عبد الله المُزَنى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : غزونا مع رسول الله ﷺ أولَ غزوة غزاها : الأبواء » .

« ابن سعد ٢ : ٣ »

– ٢ –

ترجمة صَعْصَعَة بن معاوية عمّ الفرزدق الشاعر :

« هكذا قال يزيد بن هارون فى حديث رواه عن الحسن ، قال :

أخبرنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جرير بن حازم ، قال : حدَّثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية عمّ الفرزدق الشاعر : أنه أتى النبى ﷺ ، فقرأ عليه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ . فقال : حسْبِى ، لا أبالى ألا أسمع غيرها . وقد روى صعصعةُ عن أبى ذر » .

« ابن سعد ٧ : ٢٥ »

* * *



المراجع
والمؤلفات المذكورة فى الكتاب

١ - فنسنك : موجز فى الأحاديث النبوية الأولى ، طبع ليدن .
محمد واليهود فى المدينة ، ليدن ١٩٠٨ .
Prof. Wensinck: Handbook of Early Muhammadan Tradition.
٢ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، طبع ليدن .
التفسير .
٣ - جولد تسيهر : دراسات إسلامية .
اتجاهات التفسير عند المسلمين .
Goldziher : Muhammadanische Studien
Die Richtungen in der islamisher Koranaslegung.
٤ - مجلة جماعة المستشرقين الألمان .
Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Cesellschaft.
٥ - ابن سعد : الطبقات الكبير ، طبع أوربا .
أخبار النبى .
٦ - البخارى : التاريخ ، طبع الهند .
الجامع الصحيح .
٧ - البلاذرى : فتوح البلدان ، تحقيق دى غويه .
الأنساب ، تحقيق آلورد .
٨ - النووى .
٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ، طبع الهند .
الإصابة .

١٠ – ياقوت : معجم البلدان ، تحقيق وستنفلد .
معجم الأدباء ، « مرجليوث » .
اختصار كتاب أبى نعيم .
١١ – ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، طبعة دار المعارف .
طبع أوربا .
١٢ – فيك : محمد بن إسحاق ، طبع فرانكفورت على نهر المين .
Fück : Muhammed ibn Ishak.
١٣ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع بولاق .
١٤ – لمر : دراسات عن خلافة معاوية الأول .
Lammer : Etüdes sur le regne de Muawuya Ier.
١٥ – الجمحى : طبقات الشعراء ، تحقيق هل .
١٦ – الذهبى : تهذيب ، مجلة جماعة المستشرقين الألمان .
تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ، تحقيق فيشر .
الميزان .
١٧ – المبرد : الكامل ، طبع أوربا .
١٨ – ابن هشام : السيرة النبوية ، طبع الحلبى .
كتاب التيجان ، طبع الهند .
١٩ – حاجى خليفة : كشف الظنون ، طبع أوربا .
٢٠ – لدزبرسكى : عن الخرافات التى يقال إنها للأنبياء .
Lidzbarski : De Legendis quae dicuntur Propheticis.
٢١ – أحمد بن حنبل : المسند .

٢٢ – ابن إسحاق : المغازى .
تاريخ الخلفاء .
٢٣ – أبو الفرج : الأغانى ، طبع بولاق .
٢٤ – أبان البجلى : كتاب المبتدأ والمبعث والمغازى .
٢٥ – عروة بن الزبير : كتب فى الفقه .
رسائل فى التاريخ .
٢٦ – الثعلبى : عرائس المجالس فى قصص الأنبياء .
٢٧ – المسعودى : مروج الذهب ، طبع بولاق .
٢٨ – شوفان : النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة .
V. Chauvin : La Recension Egyptienne des Mille et une Nuits.
٢٩ – ابن النديم : الفهرست ، طبع أوربا .
٣٠ – وهب بن منبه : كتاب المبتدإ ، تاريخ العباد ، قصص الأخيار ، الإسرائيليات ، الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك ، الفتوح ، الحكمة ، الموعظة ، زبور داود ﷺ ترجمة وهب ، القدر .
٣١ – مجلة الثقافة الإسلامية .
Islamic Culture .
٣٢ – أبو بكر بن خير : فهرسة ، المكتبة الأندلسية .
٣٣ – أبو بكر بن محمد : الأحاديث .
٣٤ – عبد الملك بن محمد : كتاب المغازى .
٣٥ – أبو عبيدة : النقائض ، تحقيق بيفان .
٣٦ – اليعقوبى : التاريخ ، تحقيق هوتسما .

٣٧ – كتاب الزهرى وابنة عمه اللذين سارا إلى هشام بن عبد الملك .
٣٨ – ابن عبد الحكم ، تحقيق تورى .
٣٩ – جمال الدين بن منظور : لسان العرب ، طبع مصر .
٤٠ – أبو الفدا : التاريخ .
٤١ – الزهرى : أسنان الخلفاء ، الأنساب ، السيرة ، الزهريات ، مشاهد النبى ﷺ .
٤٢ – السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .
٤٣ – موسى بن عقبة : المغازى .
٤٤ – الديار بكرى : تاريخ الخميس .
٤٥ – معمر بن راشد : المغازى .
٤٦ – عبد الرزاق بن همام : المغازى .
٤٧ – ابن رسته : المكتبة الجغرافية .
٤٨ – القسطَلّانى : إرشاد السارى إلى شرح البخارى .
٤٩ – السمعانى : الأنساب . طبع الهند .
٥٠ – المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .
٥١ – أبو معشر السندى : المغازى .
التاريخ .
٥٢ – الواقدى : الاختلاف ، غلط الحديث ، السنة والجماعة وذم الهوى ، ذكر القرآن ، الأدب ، الترغيب فى علم القرآن ، التاريخ الكبير ، التاريخ والمغازى والبعث ، أخبار مكة ، أزواج النبى ﷺ ، وفاة النبى ﷺ ، السقيفة وبيعة أبى بكر ، الردة والدار ، السيرة ، أمر الحبشة والفيل ، حرب الأوس والخزرج ، المناكح ، يوم

الجمل ، صفين ، مولد الحسن والحسين ، مقتل الحسين ، فتوح الشام ، فتوح العراق ، ضرب الدنانير والدراهم ، مراعى قريش والأنصار فى القطائع ووضع عمر الداواوين ، الطبقات ، تاريخ الفقهاء ، طُعم النبى ، تصانيف القبائل ومراتبها وأنسابها ، المغازى ، تحقيق فون كريمر ، وترجمة ولهوزن .

٥٣ – ابن حبيش : الغزوات .

٥٤ – ليون كيتانى : حوليات الإسلام .

Caetani: Annali dell'Islam.

٥٥ – أتولث : طبقات ابن سعد ، ليبزج ١٨٦٩ .
أصل الطبقات وأهميتها .

Otto loth : Das Classenbuch des Ibn Sàd.
Ursprung und Bedeutung der Tabaqat.

٥٦ – الهيثم بن عدى : الطبقات .

٥٧ – بانث : إضافات لنقد كتابات محمد ومعانيها اللغوية ، برلين ١٩٢٠ .

Baneth : Beitrage für Kritik und Zur sprachlichen Verstandnis der Schreiben Muhammads.

٥٨ – سخاو : القطعة البرلينية من موسى بن عقبة (وصف أعمال الأكاديمية البروسية للعلوم ١٩٠٤) .
دراسة رواة تاريخ العرب القدماء .

Sachau : Das Berliner Fragment des Musa ibn Uqba, (Sitzungsberichte der Preussischen Akademie des Wissenschaften 1904).
Studien für altesten Geschichtsuberlieferungder Araber.

٥٩ - هوروفتس : حول مخطوطة كتاب المغازى للواقدى ، برلين ١٨٩٨ .

اقتباسات السيرة الشعرية ، مجلة الإسلام .

Horovitz: De Waqidit libroqui Kitab al-Magazi inscribitur.
The poetical Insertions of the Ṡirah, Islamica.

٦٠ - نولدكه : تاريخ القرآن .

Noldeke-Schwalley : Geschichte des Qorans.

٦١ - عبيد بن شرية : أخباره ، طبع الهند .

٦٢ - الأزرقى : أخبار مكة .

٦٣ - ابن سيد الناس : عيون الآثار .

٦٤ - الحاكم النيسابورى : المستدرك .

٦٥ - ابن الأثير : أسد الغابة .

٦٦ - عبد الله بن محمد : نسب الأنصار .

٦٧ - ركندورف : صحيفة الآداب الشرقية .

Reckendorf : Orientalistische Literaturzeitung.

٦٨ - على بن برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية .

* * *

الفهرس

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

* * *